

الأسلوب الحكيم

دراسة بلاغية تحليلية

مع تحقيق رسالة في بيان الأسلوب الحكيم

لابن كمال باشا ودراستها

الدكتور محمد بن علي الصامل

كلية اللغة العربية - قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة :

الحمد لله العليم الحكيم، والصلاة والسلام على نبي الهدى، ورسول الرشاد، الذي سنَّ الحكمة في الدعوة، وأرشد إلى طريق النجاة، وعلى صحبه الطيبين الطاهرين الذين اقتدوا بسنته، واهتدوا بهديه، . ومن تبعه إلى يوم الدين وبعد :

فقد احتجت إلى بسط القول في «الأسلوب الحكيم» ومناقشة بعض قضاياها، فهرعت إلى المصادر البلاغية، لأجد فيها بغيتي، وأقدمها إلى طلابي، فوجدت شحاً في المعلومات^(١) ونقصاً في الأمثلة، لاتتلاءم ومكانة هذا النوع البلاغي، ومع ذلك فهذه المعلومات، وتلك الأمثلة تتكرر من كتاب لآخر - شأن كثير من القضايا البلاغية - فواصلت البحث مستعيناً بالله عز وجل، ثم بالاتجاه إلى المصادر المخطوطة، فوفقت على رسالة لابن كمال باشا في بيان الأسلوب الحكيم، ووجدت فيها زيادات على ما لدى البلاغيين عن هذا النوع، فعقدت العزم على تحقيقها، عليها تروي الظمأ، وتشفي الغلة، ولكنها لم تحقق كل ما أطمع إليه في دراسة هذا النوع البلاغي .

فقد كنت راغباً في تتبع أصول الأسلوب الحكيم، ونشأته، وأطواره، التي مر بها، كما كنت حريصاً على رصد مصطلحاته ومناقشتها والموازنة بينها، ثم الوقوف على تعريف البلاغيين له، وتقويم ذلك التعريف من خلال تعبيره عن مراد البلاغيين من الأسلوب الحكيم، وقفزت إلى الذهن أسئلة حول العلاقة بين الجواب والسؤال من حيث الزيادة والنقص» وما صلة ذلك بالأسلوب الحكيم؟ فلم يسبق - فيما أعلم - مناقشة ذلك!، ورأيت أن مما يسهم في تجلية صورة الأسلوب الحكيم رصد الأنواع البلاغية التي تشابهه من وجه من الوجوه، أو تتداخل معه، فكان لابد من التمييز بينها! ولما رأيت اختلافاً عند بعض البلاغيين في موضع دراسة هذا النوع، فكثير منهم

درسه مع موضوعات الخروج على مقتضى الظاهر، وبعضهم جعله من موضوعات البديع، وقليل منهم عرضوا له في باب الاستفهام. وكان هذا الاختلاف - في الموضوع - بحاجة إلى دراسة وتقويم، لأن المضمون عندهم لا يكاد يختلف! فما سر ذلك؟، وكشف هذا السر يحتاج إلى مبحث خاص.

وبدا لي ما ورد عند البلاغيين من أمثلة الأسلوب الحكيم من القرآن الكريم فيه نظر، فيحتاج إلى وقفة تُبين وجه الحق في ذلك.

وانكشف لي أن مجال الأسلوب الحكيم أوسع من أن يحدَّ بمجالات معينة في التعبير، فكان لابد من ذكر بعض هذه المجالات، ولما كانت الأمثلة التي تتكرر في المصادر البلاغية لهذا النوع، لا تكاد تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة. وهذا لا يتفق مع سعة مجالاته، فكان لزاماً - حينئذ - أن يقدم الدليل على سعة انتشار هذا النوع من خلال رصد الأمثلة المتنوعة من شعر ونثر، وتوثيق تلك الأمثلة من تراثنا، وعرض نماذج مما يصلح أن يكون مثالا للأسلوب الحكيم من أساليبنا المعاصرة.

كل ما سبق كان حافزاً على أن يكون هذا البحث من قسمين:

القسم الأول: دراسة بلاغية تحليلية يقدمه الباحث، ليحقق فيها ما طرحه آنفاً من قضايا متصلة بالأسلوب الحكيم.

القسم الثاني: تحقيق رسالة ابن كمال باشا في الأسلوب الحكيم، ودراساتها وشمل هذا القسم حديثاً موجزاً عن ابن كمال باشا، ومؤلفاته في البلاغة، ومصادر ابن كمال باشا في رسالته، ورسالته في ميزان النقد، ووصف النسخ المخطوطة لهذه الرسالة، ثم منهج التحقيق.

وقد حرصت على أن يكون هذا البحث وافياً بشروط البحث العلمي، وأن يكون متسماً بالتأصيل في توثيق المعلومات الواردة فيه من المصادر التراثية قدر الإمكان، ويكون متصفاً بالتحليل والمناقشة للآراء الواردة فيه دون تعصب لرأي أو إهمال لرأي، فالحق هو الرائد.

كما حرصت على تقويم ما يناقش من خلال التراث في إصدار الرأي إلا بعد تبين

ما أراه هو الصواب، وإن احتاج الأمر إلى طرح البديل سعت إلى ذلك .
هذا ما حرصت عليه، فإن كنت قد وفقت، فهذا فضل من الله وأسأله أن يعينني
على شكره، وإن كان الأخرى فهي من نفسي والشیطان .

وقد يسر الله لي مصادر البحث، فلم أجد عناء أو مشقة في طلبها والحصول
عليها، فالشكر لله أولاً، ثم لجميع من أفدت من الزملاء الأفاضل، والشكر
موصول لمن يجد هفوة، أو عثرة في هذا البحث فيرشدني إليها، فالمؤمن مرآة أخيه،
ومما يخفف على الباحث أن أحداً لا يدّعي الكمال، كما يخفف عليه ما يعرفه الباحثون،
وطلبة العلم، أن الإنسان لو أعاد النظر فيما كتب، لعدل وبدّل وغير، وما عبارة
القاضي الفاضل إلى العماد الأصفهاني عنا ببعيد: «إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً
في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن . لو
قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل
على استيلاء النقص على جملة البشر»^(١).

وإني لأدعو بظهر الغيب لمن أسدى إليّ عيلاً لم أتبينه، أو ملحوظة انتفع بها فقد
قيل: «المتصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل من مُنشئه»^(٢) .
وبعد:

فهذا جهد المقل، قدمه ليكون رافداً مع غيره من روافد المكتبة البلاغية .
غفر الله لمن كتبه، وفحصه^(٣) وقوّمه، وقرأه ونشره .

القسم الأول : الأسلوب الحكيم : دراسة بلاغية تحليلية .

- النشأة .
- المصطلح .
- التعريف .
- حالة الجواب مع السؤال .
- العلاقة بين الأسلوب الحكيم وبعض الأنواع البلاغية .
- موضع دراسة الأسلوب الحكيم عند البلاغيين .
- وقفة مع أمثلة البلاغيين للأسلوب الحكيم في القرآن الكريم .
- قسما الأسلوب الحكيم وأمثلتها .
- مجالات التعبير بالأسلوب الحكيم .
- أمثلته :

- من القرآن الكريم .
- من الحديث الشريف .
- المحاورات الثرية التراثية .
- من الشعر .
- أمثلته المصنوعة المقيسة .
- خاتمة الدراسة .

نشأة الأسلوب الحكيم :

ليس الغرض من الحديث عن نشأته - هنا - الوقوف على النصوص التي وردت عن العرب من شعر ونثر في هذا النوع البلاغي ، لأن البحث في مثل هذه المسألة مشبه لكثير من الفنون البلاغية ، التي استعملها العرب في كلامهم منذ العصر الجاهلي ، وما تلاه من عصور ، وإنما الغرض هو تتبع أمرين :

أولهما : دراسة هذا النوع من أساليب العرب عند العلماء السابقين .
وثانيهما : رصد المصطلح الخاص بهذا النوع البلاغي ، ومراحل تدرجه .

فأما الأمر الأول :

فيرجع كثير من البلاغيين القدماء والمعاصرين الفضل في دراسته إلى أبي يعقوب السكاكي (٦٢٦هـ) حيث جعله^(١) من أنواع الخروج على مقتضى الظاهر، وسماه «الأسلوب الحكيم» ولمن يخطيء من قال بذلك، فقد كان السكاكي كما وصفوا، ولكن يظل السؤال ملحاً: ألم يسبق السكاكي في دراسة هذا النوع؟

فإن كان المراد دراسة هذا النوع تحت اسم الأسلوب الحكيم، فما بين أيدينا من مصادر يؤكد أن السكاكي هو السابق في هذا الأمر، وإن كان المطلوب دراسة هذا النوع من الأساليب، ولو كانت تحت اسم آخر، فالأمر مختلف حينئذ.

حيث أشار الخطيب القزويني (٧٣٩هـ) إلى أن الشيخ عبد القاهر (٧٤٠هـ) سماه المغالطة^(٢)، وأخذ بعض البلاغيين ذلك عن القزويني، مثل: بهاء الدين السبكي^(٣) (٧٧٣هـ)، وجلال الدين السيوطي^(٤) (٩١١هـ). وقد وقفت على رأي عبد القاهر، حيث ذكر - عرضاً - في أثناء حديثه عن تقديم لفظي «مثل» و«غير» ما نصه: (وكقول الذي قال له الحجاج: لأهملنك على الأدهم - يريد القيد - فقال على سبيل المغالطة: ومثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب)^(٥).

بل ذهب بعض الباحثين - والحق معهم - إلى أبعد من ذلك، فقد ذكر الدكتور فوزي عبد ربه عيد^(٦) في دراسته للمقاييس البلاغية عند الجاحظ (٢٥٥هـ) إلى أن أبا عثمان درس هذا النوع تحت عنوان: كلام يذهب السامع منه إلى معاني أهله وإلى قصد صاحبه^(٧)، لأنه ذكر من أمثلة هذا النوع ما يندرج تحت مفهوم الأسلوب الحكيم، ومن ذلك قوله: (وقد سأل رجل بلالاً مولى أبي بكر رحمه الله، وقد أقبل من جهة الحلبة فقال له:

من سبق؟

قال: سبق المقربون.

قال: إنها أسألك عن الخيل.

قال: وأنا أجيبك عن الخير)^(٨).

(فترك بلال جواب لفظه إلى خبر هو أنفع له)^(١٣)، وهذا هو الأسلوب الحكيم عينه . ولم يكن الأمر مقتصرًا على ذلك عند الجاحظ، كما أشار الدكتور فوزي عبد ربه عيد^(١٤)، وشاركه - في ذلك - الدكتور أحمد مطلوب^(١٥)، حيث أورد الجاحظ مجموعة من الأمثلة التي تناقلها كثير من البلاغيين للأسلوب الحكيم، ذكر الجاحظ ذلك تحت باب «من اللغز في الجواب»^(١٦)، ومن هذه الأمثلة، محاورة الخطيئة للرجل، ومحاورة خالد بن الوليد رضي الله عنه لعبد المسيح الغساني، كما سيأتي مفصلاً عند ذكر الأمثلة .

ونخلص من هذا إلى أن الجاحظ كان سابقاً لدراسة هذا النوع . ولو لم يسمه، وهذا شأن كثير من الفنون البلاغية، تدرس تحت عناوانات عامة إلى أن يستقر أمرها على مصطلح معين .

وأما الأمر الآخر :

فهو مرتبط بما سبق حيث تدرجت دراسة هذا النوع من دخوله تحت مفهوم عبارتي الجاحظ : «كلام يذهب السامع منه إلى معاني أهله، وإلى قصد صاحبه» و«من اللغز في الجواب» فهاتان العبارتان تشتملان على ما يدخل في مفهوم الأسلوب الحكيم، وغيره مما يدل وعلى أن مآذره الجاحظ تحت العبارتين أعم^(١٧) من الأسلوب الحكيم . ومروراً بها ورد عند عبد القاهر من تسميته له بالمغالطة .

ولابد من التنبيه - هنا إلى أن مصطلح «المغالطة المعنوية» ورد عند ابن الأثير (٦٣٧هـ) بمعنى التورية^(١٨)، وكذلك عند يحيى العلوي^(١٩) (٧٤٥هـ)، وهناك صلة وثيقة بين التورية، والأسلوب والحكيم، كما سنعرف بعد قليل إن شاء الله .

والمرحلة الأخيرة : هي مرحلة استقرار هذا النوع على مصطلح «الأسلوب الحكيم»، وذلك عند السكاكي كما أشرت آنفاً .

هذا ما يتصل بالنشأة، فماذا يمكن أن يقال عن المصطلح ؟

المصطلح :

تبين مما سبق ورود مصطلحين لهذا النوع البلاغي هما : المغالطة ، والأسلوب الحكيم ، وظهر لي أن بعض البلاغيين المتأخرين ذكروا له مصطلحاً ثالثاً هو «القول بالموجب» ، كما وقفت على تسمية لبعض المعاصرين خالفوا فيها المصطلح الذي ذكره السكاكي حيث ورد في كتبهم بصيغة «أسلوب الحكيم» .

ولذلك يمكنني القول أن هذا النوع البلاغي درس تحت مصطلحات أربعة هي :

١ - المغالطة .

٢ - القول الموجب .

٣ - أسلوب الحكيم .

٤ - الأسلوب الحكيم .

وسأفصل القول في كل واحد على النحو التالي :

الأول : المغالطة :

مر آنفاً في الحديث عن نشأة هذا النوع أن عبد القاهر الجرجاني ذكره - عرضاً - باسم المغالطة ، ووروده استطراداً عند عبد القاهر لايعين على مناقشة هذا المصطلح مناقشة دقيقة منصفة ، لعدم الوقوف على مفهوم عبد القاهر له ، من خلال التعريف أو الأمثلة المتعددة التي ذكرت له ، ومن هنا فلا مناص من مناقشة هذا المصطلح وفقاً للدلالة اللغوية فحسب . فالغَلَط في اللغة : «أن تعيا بالشيء فلا تعرف وجه الصواب فيه»^(١) ، والمَغْلَطَة : «الكلام يغلط فيه ويغالط به»^(٢) فالمغالطة تدور حول هذا المعنى مع إضافة دلالتها على المشاركة ، وكان المعنى اللغوي المدرك للفظ المغالطة مما سبق هو تخطئة أحد المتخاطبين للآخر بادعاء عدم معرفة وجه الصواب في كلامه .

ولو أردنا الموازنة بين هذه الدلالة ، ومفهوم هذا النوع البلاغي فسندرك جوانب إيجابية وأخرى سلبية .

فمن الجوانب الإيجابية :

١ - دلالة «المغالطة» على المشاركة ، وهذا متفق مع مفهوم هذا النوع ، فهو يقوم على

المحاورة بين سائل ومجيب، أو مخاطب ومخاطب.

- ٢ - مجيء هذه المحاورة على خلاف ما يراه المخاطب، فكأنها تخطئة لكلامه، ولهذا أعجب الدكتور محمد أبو موسى بهذا المصطلح، فقال: (وعبد القاهر يسمي هذا الأسلوب المغالطة، وهو جدير بهذه التسمية، وإن كانت مغالطة أدبية)^(٢٢).
- ٣ - كون هذا المصطلح مختصراً لأنه كلمة واحدة، وهذا أدعى لشيوع استعماله.

أما الجوانب السلبية لمصطلح المغالطة فمنها:

- ١ - إحياء معنى المغالطة اللغوي، ولعل ذلك هو السبب في قول مخلوف المنياوي (١٢٩٥هـ) عند مصطلح المغالطة: (وليست مذمومة، وإن أشعر الاسم بالذم، لما فيه من التنبيه على ما هو الأولى)^(٢٣)، كما أن الدكتور محمد أبو موسى يشير من طرف خفي لهذا الإحياء بقوله: (وإن كانت مغالطة أدبية)^(٢٤).
- ٢ - استعمال مصطلح المغالطة للدلالة على نوع بلاغي آخر هو التورية كما هو عند ابن الأثير^(٢٥) (٦٣٧هـ)، ويحيى العلوي^(٢٦) (٧٤٥)، وإن كانت عندهما مقيدة بصفة «المعنوية»، فذلك يعني اشتراك هذا المصطلح بين نوعين بينهما تشابه من وجه - كما سنعرف ذلك لاحقاً - ولهذا فدلالة مصطلح المغالطة يتنازعها نوعان بلاغيان، وقد لا يسلم لأي واحد منهما.
- (٣) عدم شيوع هذا المصطلح عند البلاغيين للدلالة على الأسلوب الحكيم، فلم يعرف إلا عند عبد القاهر حيث ورد عرضاً، وإن أورده البلاغيون فهم يجعلونه مصطلحاً ثانياً لهذا النوع. ولعل السبب أن كثيراً من البلاغيين بعهد الخطيب القزويني كانوا يدورون في فلكه في كتابيه: التخليص، والإيضاح، فكون الخطيب استعمل مصطلح «الأسلوب الحكيم» هو السبب في شيوعه، وإغفال غيره من المصطلحات.

وبموازنة الإيجابيات والسلبيات، نجد أن هذا المصطلح لم يشع في الدلالة على هذا النوع، وإن كانت صلته به قوية، ولهذا يمكن جعله مصطلحاً ثانياً للأسلوب الحكيم.

الثاني : القول بالموجب :

لما ذكر ابن مالك الرعيني (٧٧٩هـ) القول بالموجب قال : (ويقال له : الأسلوب الحكيم)^(٢٧)، وتبعه في ذلك ابن حجة الحموي^(٢٨) (٨٣٧هـ) وفعل مثلهما ابن معصوم المدني^(٢٩) (١١٢٠هـ)، إلا أنه فرق بينهما كما سيأتي .

ولم يقف الأمر عند السابقين، بل حذا بعض المعاصرين^(٣٠) حذوا الرعيني وابن حجة، فجعلوا الأسلوب الحكيم مصطلحاً آخر للقول بالموجب . وهذا يعني أن أحد المصطلحين يقوم مقام الآخر، وإن كان الأصل عندهم جميعاً هو القول بالموجب .

والذي أراه أن بين المصطلحين تشابهاً من جهة، وبينهما اختلاف من جهة أخرى، يقول ابن معصوم متحدثاً عن القول بالموجب : (هذا نوعه من البديع غريب المعنى، لطيف المبنى، راجح للوزن في معيار البلاغة، مفرغ الحسن في قالب الصياغة، هو والأسلوب الحكيم رضيعاً لبان، وفرساً رهان . حتى زعم بعضهم أن أحدهما عين الآخر، وليس كذلك)^(٣١) ولم يكتف ابن معصوم بهذا، بل بين الفرق بينهما بقوله : (هذا النوع - أعني القول بالموجب - يشترك هو والأسلوب الحكيم في كون كل منهما من إخراج الكلام لأعلى مقتضى الظاهر، ويفترقان باعتبار الغاية، فإن القول بالموجب غايته رد كلام المتكلم وعكس معناه، والأسلوب الحكيم هو تلقي المخاطب بغير ما يترقب، بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهاً على أنه الأولى بحاله أو المهم له)^(٣٢) .

أقول : إن الاتفاق بين النوعين في كون كل منهما من إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، ليس مسوغاً كافياً لجعل أحدهما مصطلحاً للآخر، وذلك لأن ما يدخل تحت الخروج على مقتضى الظاهر من أنواع ذكرها البلاغيون يمكن أن تشترك معها في هذه الميزة، فلمَ لم نجعل تلك الأنواع مصطلحات أخرى للأسلوب الحكيم !!!؟

وإن كان ثمة أمر آخر هو سبب هذا التداخل ألا وهو مجيء بعض الأمثلة تصلح للنوعين معاً، وهذا أيضاً لا يكفي إذ كل واحد منها ينظر إليه من وجه غير الآخر. وكثيراً ما يصلح المثال الواحد لعدد من الأنواع، لتعدد الاعتبارات التي ينظر من خلالها للأمثلة.

وأزيد في التوضيح الفرق بينهما، فأقول :

إن القول بالموجب مبحث أصولي تشابهت بعض أقسامه مع ما أورده ابن أبي الإصبع المصري^(٣٣) (٦٥٤هـ) في أنواع البديع، . وسماه القول بالموجب، ورأى أنه من مخترعاته.

وهذا ما دعا العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي يرحمه الله لبيان الفرق بين القول بالموجب عند الأصوليين والبيانين^(٣٤)، فهو يقول: (إن القول بالموجب عند الأصوليين مغاير للقول بالموجب عند البيانين. . . فالقول بالموجب عند الأصوليين هو تسليم الدليل مع بقاء النزاع)^(٣٥).

ونخلص من ذلك إلى أن أصل مصطلح القول بالموجب مصطلح أصولي، وحتى الذين أفردوه من البلاغيين، ميزوه عن المعنى الأصولي، ذكروه على أن نوعه مستقل يختلف عن الأسلوب الحكيم.

فالخطيب القزويني ذكر الأسلوب الحكيم في علم المعاني متابعاً السكاكي، وذكر القول بالموجب مع فنون البديع^(٣٦)، وتبعه في ذلك جمهرة^(٣٧) من البلاغيين، ولهذا يمكن الجزم بأن القول بالموجب نوع آخر غير الأسلوب الحكيم، فلا يكون مصطلحاً مرادفاً.

وقد أشار ابن كمال باشا في آخر رسالته إلى أن القول بالموجب - دون أن يصرح باسمه - ليس الأسلوب الحكيم، وذلك لما ذكر مثلاً من أمثلة القول بالموجب، منبهاً إلى أنه ليس من الأسلوب الحكيم، كما سنرى ذلك في رسالته بمشيئة الله.

الثالث : أسلوب الحكيم :

لم أكن لأخصص لهذا المصطلح حديثاً مستقلاً، لولا أنني وقفت على ما يربو على عشرة مؤلفات^(٣٨) حديثة جعلته عنواناً لهذا النوع، والفرق بينه وبين المصطلح الرابع هو تنكير كلمة أسلوب، وتحول الدلالة اللغوية من كون الحكمة وصفاً للأسلوب في المصطلح الرابع، وهذا يعني أن الكلام هو محور هذا النوع، إلى جعل المحور هو الحكيم، وبذلك عندما تحولت لفظة الحكيم من صفة إلى مضاف إليه، فأصبحت الدلالة تنحصر فيما يتلفظ به ذلك الموصوف بالحكيم سواء أكان داخلاً تحت مفهوم هذا النوع البلاغي أم لا! والمعروف أن الأنواع البلاغية إنما تتجه بالدرجة الأولى إلى الكلام أولاً، وإن كانت لاتغفل جانب المتكلم، ولكنها لاتقتصر على وصف أو رصد مايتلفظ به أي نوع من المتكلمين كما يوحي مصطلح «أسلوب الحكيم».

ومما يجعل هذا المصطلح مرجوحاً احتمال أن من كتبه كان متساهلاً في مسألة صياغته بدليل أن بعضهم كان يزواج بين الصيغتين، فيستعمل هذه مرة، وتلك أخرى^(٣٩).

أضف إلى ذلك أن من استعمله جميعهم من المعاصرين؛ ولأن وصف الحكمة ينبغي أن يتجه إلى الأسلوب لأنه هو محور الحديث، وهذا لايفهم من صياغة هذا المصطلح «أسلوب الحكيم»؛ لأن الحكمة وصف للمتكلم. ولذلك كله فإني أرى عدم استعمال هذه الصيغة.

الرابع : الأسلوب الحكيم :

هذا هو المصطلح الذي سماه به السكاكي^(٤٠)، وهو الذي ارتضاه جمهور البلاغيين من بعده ليكون علماً لهذا النوع البلاغي، وهو أقرب المصطلحات الأربعة وأولها في الدلالة على مفهوم هذا النوع، ولايعني هذا أنه يخلو من المآخذ، فمما يمكن تسجيله على هذا المصطلح مايلي :-

- ١ - يفضل في المصطلحات العلمية أن تكون قصيرة موحية بمفهومها والقصر والطول أمر نسبي، فهذا المصطلح وسط بين المصطلحات ذوات الكلمة الواحدة مثل

القصر والإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والطباق، والتورية، والمصطلحات الطويلة التي هي أشبه بالتعريفات منها بالمصطلحات مثل: تأكيد المدح بما يشبه الذم، ورد العجز على الصدر.

فعند النظر في مصطلح «المغالطة» نجد أنه أخصر من هذا المصطلح، والذي يغلب على مصطلحات البلاغة العربية أن معظمها من ذوات الكلمة الواحدة، فمن هذا الجانب يكون طويلاً نسبياً.

ويمكن التجاوز عن ذلك من خلال عدم الاستغناء عن أي كلمة فيه، وكذا عدم وجود ما هو أفضل منه في الدلالة على المضمون.

٢ - وما قد يعد مأخذاً على هذا المصطلح سعة دلالاته فالأسلوب الحكيم، وصف يدخل تحته ما يندرج تحت مفهوم هذا النوع البلاغي وغيره فكل كلام وافق موقعه في النفوس، وحقق الغرض منه بمطابقته لمقتضى الحال، يمكن تسميته أسلوباً حكيماً؛ لأن الأسلوب هو الطريقة في الكلام، والحكيم وصف لهذا الأسلوب.

ويمكن أن يعفينا من هذه الملحوظة القول المعروف أنه لامشاحة في الاصطلاح، كما أن لا يشترط التطابق بين الدلالة اللغوية والمفهوم الاصطلاحي، فالمصطلح يمكن أن يضيق الواسع، أو يقيد المطلق، أو ينحويه بمنحى محدداً، وما إلى ذلك.

ومجمل القول إن هذا المصطلح هو أنسب المصطلحات الأربعة لما يأتي :

١ - اقترانه بهذا النوع البلاغي في مرحلة مبكرة، وصحبته له إلى وقتنا الحاضر.

٢ - الصلة الوثيقة بين الدلالة اللغوية والمفهوم الاصطلاحي.

٣ - استعمال جمهور البلاغيين لهذا المصطلح على أنه المصطلح الأول لهذا النوع.

٤ - اصطلاح البلاغيين على استعماله لهذا النوع، ولا مشاحة في الاصطلاح.

التعريف :

منذ أن عرفه السكاكي (٦٢٦هـ) بقوله : (تلقى المخاطب بغير ما يترقب . . أو السائل بغير ما يتطلب)^(١)، وهذا التعريف هو قطب الرحى عند البلاغيين، فهم يدورون في فلكه، ولا يكادون يخرجون عن ألفاظه، اللهم إلا بزيادة ألفاظ توضح مفهومه، أو تعلل لخروجه على مقتضى الظاهر، أو تبين سببه، كما فعل الخطيب القزويني (٧٣٩هـ) حين عرفه بقوله : (تلقى المخاطب بغير ما يترقب، بحمل كلامه على خلاف مراده، تنبيهها على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره، تنبيهها على أنه الأولى بحاله، أو المهم له)^(٢) فما زاده القزويني، ليس إلا تعليلاً لهذا الخروج، وبياناً لتلك الفائدة .

ولم يخرج معظم البلاغيين على ما ذكره السكاكي والقزويني، وبإلقاء نظرة على تعريفات كل من: شرف الدين الطيبي^(٣) (٧٤٣هـ) وهبء الدين السبكي^(٤) (٧٧٣هـ)، وأكمل الدين البابري^(٥) (٧٨٦هـ)، وغيرهم ممن جاء بعدهم، ندرك صحة ذلك .

وما يمكن الإشارة إليه هو تسجيل بعض الملحوظات على هذا التعريف تتمثل في الآتي :-

١ - ضبط الطاء في المخاطب، فالسبكي (٧٧٣هـ) يرى كسرها، ويعلل لذلك بقوله : (وإنما قلنا بالكسر ليعود الضمير في «كلامه» إليه، لأنه لا يصدق عليه قبل تلقيه لما يتوقع أنه مخاطب - بالفتح - حقيقة)^(٦) بينما يرى السعد، التفتازاني^(٧) (٧٩١هـ)، وابن يعقوب المغربي^(٨) (١١٢٨هـ)، والدسوقي^(٩) (١٢٣٠هـ) أنها بصيغة اسم المفعول - بفتح الطاء - وهذا الخلاف ليس بذی بال - لأنه يجوز الفتح والكسر باختلاف النظر إلى المتعلق، ويقول عبد الرحمن بن عيسى العمري (١٠٣٧هـ) : (وقد ضبطه السبكي بكسر الطاء بصيغة اسم الفاعل . . . وضبطه بعض الشراح بهما، ولكل وجه)^(١٠) . ولهذا أقول يجوز الوجهان فلكل وجه اعتبار .

٢ - صيغة يتطلب في قوله: (أو السائل بغير ما يتطلب) استوقفت الدسوقي (١٢٣٠هـ)، فقال: (في الصحاح: يتطلب هو الطلب مرة بعد أخرى، فالأولى بغير ما يتطلب، لأن ذلك التلقي لا يختص بمن يبالغ في الطلب، وكأنه عبر به لأجل حسن الازدواج، بين يتطلب ويتقرب، فرجح رعاية جانب اللفظ على جانب المعنى، أو أنه عبر به إشارة لمزيد الشوق الحاصل عنده، كالتألم للجواب مرة بعد أخرى)^(٥٠)، وهذا ملحظ دقيق من الدسوقي تجلي في دقة التعبير باللفظ، وكما أنه انتقد التعريف بتغليب جانب اللفظ في الازدواج، فقد بحث عن مخرج لطيف، وهو تصوير حالة السائل من خلال دلالة الفعل يتطلب.

٣ - يفيد هذا التعريف أن الأسلوب الحكيم ضربان :

الأول : تلقي المخاطب.

والثاني : تلقي السائل .

وقد فرق بينهما الدسوقي (١٢٣٠هـ) بقوله: (. . . أن تلقي السائل مبني على السؤال بخلاف تلقي المخاطب)^(٥١)، ويبدو أن بهاء الدين السبكي (٧٧٣هـ) ليس مقتنعا بجعله قسمين، لما قال - معقبا على القسم الثاني، وهو تلقي السائل بغير ما يتطلب -: (وعندي أن هذا من القسم الأول، إلا أن فيه سؤالا، فهو أخص من هذا الوجه، وأعم باعتبار أنه ليس فيه حمل الكلام على غير ظاهره . . . وحاصله يرجع إلى العدول عن الجواب إلى غيره)^(٥٢).

ومن ذلك كله يمكن أن نخلص إلى أن الأسلوب الحكيم يقيم على ثلاث دعائم هي :

١ - المجاورة بين اثنين: مخاطب ومخاطب، أو سائل ومجيب.

٢ - الإجابة بغير ما يتقرب، أو العدول، عن الجواب إلى غيره.

٣ - مراعاة الأولى بحال المخاطب أو السائل.

ويمكن استنتاج تعريف جامع لهذه الدعائم الثلاث، فنقول: الأسلوب الحكيم هو:

«محادثة المخاطب أو السائل بغير ما يتقربان مراعاة للأولى بحالهما».

حالة الجواب مع السؤال :

هذه الفقرة تختص بأحد قسمي الأسلوب الحكيم، الذي يعتمد على السؤال والجواب، ولكي يمكن معرفة ما يدخل في دائرة الأسلوب الحكيم في هذا القسم - إضافة إلى ماتضمنه التعريف من تحديد ذلك بما كان الجواب فيه بغير ما يتطلب السائل، فإنه يحسن تحديد العلاقة بين الجواب والسؤال، وهذه العلاقة تتمثل في الحالات الأربع الآتية:

- ١ - التطابق بين الجواب والسؤال.
 - ٢ - أن يتضمن الجواب زيادة على ما في السؤال. (مع اشتماله على الجواب المطلوب).
 - ٣ - أن يكون الجواب ناقصا عن السؤال.
 - ٤ - أن يكون الجواب خارجا عن موضوع السؤال إلى غيره.
- وإذا تأملنا هذه الحالات الأربع. فإننا نجد الحالة الأولى لاتدخل في باب الأسلوب الحكيم قطعاً، لأنها جاءت على ما يقتضيه الظاهر.
- فالحالة الثانية يتنازعها أمران :
- أولهما : ما تضمنه الجواب وفق مراد السائل، فيكون في الحالة متمشياً مع مقتضى الظاهر، فهذا الشق من الجواب لا يدخل في باب الأسلوب الحكيم.
- وثانيهما : ما اشتمل عليه الجواب من زيادات لم يطلبها السؤال، فإن كانت تفصيلاً لما أجمل في الجواب. فهي تابعة له، وليس فيها - فيما أرى - خروج على مقتضى الظاهر، فيظل الأمر - حينئذ - كما هو أي لا يدخل في باب الأسلوب الحكيم.
- وإن كانت الزيادات ترمي إلى تنبيه السائل أنه كان من الأولى أن يسأل عنها، أو أن حالته تتطلب تنبيهه إليها، فهذه هي الأسلوب الحكيم نفسه.
- وأجمل ما تكون عليه هذه الزيادات إذا كانت متكئة على لفظة وردت في السؤال.
- وإذا كان الأمر كذلك، فما الموقف من الجواب المشتغل في جزء منه على ما يلائم السؤال، وفي هذه الحالة لا يكون من باب الأسلوب الحكيم، وفي الجزء الآخر يشتمل على زيادات يمكن إدراجها في باب الأسلوب الحكيم ؟

والذي أراه في هذه الحالة تغليب مايندرج في باب الأسلوب الحكيم، لأن الجواب بمجمله فيه خروج على مقتضى الظاهر بما فيه من زيادات، وهذا كفيل بإدخاله في باب الأسلوب الحكيم.

وقد وضع البخاري رحمه الله بابا في صحيحه بعنوان: «باب من أجاب السائل بأكثر مما سأله»^(٥٤)، وهذا يمثل الحالة الثانية خير تمثيل، ولعله يكون أظهر في جانب الفتوى.

وأما الحالة الثالثة: فإذا كان النقص مما يمكن للسامع إتمامه اعتمادا على ما ذكر، فهذا يدخل في باب الإيجاز، ولا يصنف في باب الأسلوب الحكيم.

وأما إذا كان النقص في الجواب متعمدا، كأن يكون مما لا يحسن ذكره، أو ليس من المصلحة بيانه أو غير ذلك مما يقدره المجيب، وتعليه عليه الحكمة، فأرى أن هذا مما يمكن إدراجه في باب الأسلوب الحكيم، لأن مقتضى الظاهر أن يكون الجواب مطابقا للسؤال، فإذا نقص فقد خالف الظاهر، ويمكن أن يمثل هذه الحالة إجابات السياسيين على الإعلاميين.

وبهذه الرؤية تتسع دائرة الأسلوب الحكيم دون مساس بضوابطه وحدوده. ولعل ماسيرد في مناقشة أمثله ما يكشف عن ذلك.

العلاقة بين الأسلوب الحكيم وبعض الأنواع البلاغية:

حين يكون الحديث عن الأسلوب الحكيم، فإنه يتدافع إلى الذهن مجموعة من الأنواع البلاغية، تختلف عن بعضها في نوع علاقتها، ويمكن تقسيم هذه العلاقة إلى ثلاثة أصناف هي: التداخل، والتشابه، والتعاقد.

التداخل:

فما يمكن تصنيف علاقته بالأسلوب الحكيم بالتداخل: القول بالموجب، وقد مر الحديث عن ذلك عند ذكر المصطلحات، حيث أورده بعض البلاغيين على أنه هو، وتم إيضاح الفرق بينهما.

ومن ذلك «المغالطة» على رأي عبد القاهر، والمغالطة صارت مصطلحاً مستقلاً عند ابن الأثير والعلوي بمعنى التورية، وسيرد ذكرها فيما علاقتها التعاضد.

التشابه :

أشار أحد الباحثين^(٥٥) عند عرضه لما يسميه البلاغيون «تجاهل العارف»، وذلك بعد انتهائه من عرض الأسلوب الحكيم فقال: (تجاهل العارف: وهو قريب من الأسلوب الحكيم)^(٥٦)، ولم يبين وجه القرب من الأسلوب الحكيم، كما أنه لم يذكر الفرق بينهما، بل إن هذا الباحث الفاضل ختم حديثه عن «تجاهل العارف» بما يزيد الأمر إشكالاً من حيث قربه من الأسلوب الحكيم، فقد رأى أن تجاهل العارف أقرب إلى علم المعاني منه إلى علم البديع، يقول موضحاً ذلك: (والحق أن هذا الضرب حري به أن يكون في علم المعاني، فهو إلى أبوابه أقرب، وبموضوعه ألصق...^(٥٧)).

وربما كان وجه التشابه بين تجاهل العارف، والأسلوب الحكيم أن ثمة عدولا عن المعروف إلى غيره يجمع بينهما، وحتى يتبين لنا ذلك، ثم لنبحث مسألة الفرق بينهما، فإنه لا بد من الوقوف على تعريف تجاهل العارف، يقول ابن أبي الإصبع (٦٥٤هـ) في تعريفه: (وهو سؤال المتكلم عما يعمل به حقيقة تجاهلا منه به، ليخرج كلامه مخرج المدح أو الذم، أو ليدل على شدة التدله في الحب، أو لقصد التعجب، أو التغيرير، أو التوبيخ)^(٥٨)، ولابن مالك الرعيبي (٧٧٩هـ) تعريف آخر قريب من التعريف السابق، ولكن فيه إضافة طريفة حيث يقول: (هو أن يسأل المتكلم عن شيء يعرفه سؤال من لا يعرفه، ليوهم أن شدة الشبه الواقع بين المتناسبين أحدثت عنده التباس المشبه به بالمشبه، وفائدة المبالغة)^(٥٩)، ولم تخرج تعريفات البلاغيين عن مضمون هذين التعريفين، وبهذا يمكن القول إن الفرق يتمثل في الآتي:

١ - يقوم الأسلوب الحكيم على محاورة بين اثنين: مخاطب ومخاطب، أو سائل ومجيب. وتجاهل العارف يقوم على أن السائل والمتجاهل، والعارف تجتمع في شخص واحد، فهذا خلاف في المصدر.

٢ - السؤال في الأسلوب يطلب جوابا، بينما هو في تجاهل العارف سؤال لايراد به معرفة الإجابة، وهذا خلاف في الصيغة .

٣ - مما يهدف إليه الأسلوب مراعاة الأولى بحال المخاطب أو السائل، وأما تجاهل العارف فأغراضه كثيرة ومحاورها هو المتكلم نفسه، وهذا خلاف في الغرض والهدف .

وهذا يتبين أن الفرق بين تجاهل العارف والأسلوب الحكيم على ثلاثة محاور هي مصدر النوع، وصيغته، وغرضه .

التعاقد :

ويمثل ذلك من الأنواع التي لها علاقة بالأسلوب الحكيم التورية، حيث اقترنت التورية بالأسلوب الحكيم في أمثلة عديدة، وليس هذا بمستغرب، لأن العدول عن المعنى إنما كان عن طريق التورية، فالعلاقة حينئذ علاقة تعاقد، فالتورية تعضد الأسلوب الحكيم، والأسلوب الحكيم تحقق عن طريقها، ولتوضيح هذا الأمر يمكن التمثيل بأشهر مثال للأسلوب الحكيم أورده البلاغيون، وهو المحاورة بين ابن القبعثري والحجاج .

قال الحجاج : لأحملنك على الأدهم .

فقال ابن القبعثري : مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب .

قال الحجاج : ويحك إنه لحديد .

وقال ابن القبعثري : لأن يكون حديدا خير من أن يكون بليدا .

فبالأسلوب الحكيم يتمثل في إجابتي ابن القبعثري المعتمدتين على عبارتي الحجاج، وأما التورية فتتمثل في كلمتي الأدهم، وحديد، ولأنهما كانتا كالجسر أو القنطرة التي عبر من خلالها العدول الذي يمثل لب الأسلوب الحكيم، إذ إن مجيء كلمة الأدهم محتملة لمعنيين أحدهما هو مراد الحجاج وهو القيد، والثاني كان منفذا لابن القبعثري وهو الفرس الأدهم، ومثل ذلك يقال عن كلمة حديد .

ومن هنا يتبين أن التورية كانت معبرا للأسلوب الحكيم، فوجودها يعضد الأسلوب الحكيم، ولا يتداخل معه، أو يشتبه به.

ولعل هذا الاقتران أو التعاضد هو السبب في تسمية عبد القاهر لهذا النوع بالمغالطة؛ لأن عملية المغالطة تمت عن طريق التورية، ولما كانت التورية غير الأسلوب الحكيم، وإنما هي إحدى الوسائل التي يعتمد عليها الأسلوب الحكيم.

أقول لعل هذا أحد أسباب تسمية الأسلوب الحكيم بالمغالطة.

موضع دراسة الأسلوب الحكيم عند البلاغيين :

درج كثير من البلاغيين على دراسة الأسلوب الحكيم ضمن موضوعات الخروج على مقتضى الظاهر متابعين في ذلك السكاكي والقزويني، بينما درسه آخرون في موضوعات البديع، ثم وقفت على موضع طريف في دراسة الأسلوب الحكيم، حيث درس في باب الاستفهام من أبواب الإنشاء الطلبي، وهذا بيان المواضع والرأي فيها:

الأول : دراسته في موضوعات الخروج على مقتضى الظاهر:

وأول من فعل ذلك هو أبو يعقوب السكاكي^(١١) (٦٢٦هـ)، ثم تبعه الخطيب القزويني^(١٢) (٧٣٩هـ)، وسار كثير من البلاغيين على نهجها، فمن القدماء: محمد ابن علي الجرجاني^(١٣) (٧٢٩هـ)، ومع أنه أسبق وفاة من الخطيب إلا أنه كان يناقشه في كثير من المسائل بعبارة: (ما قاله المعاصر)^(١٤)، ومن القدماء أيضا جلال الدين السيوطي^(١٥) (٩١١هـ)، وهذا إضافة على من جعلوا كتاب القزويني أو السكاكي محور مؤلفاتهم تلخيصا أو شرحا أو حاشية أو تقريرا.

وأما المعاصرون، فلا يكادون يحصون عددا، وبخاصة من التزموا في مؤلفاتهم^(١٦) بمنهج المدرسة العقلية.

ولا إشكال في دراسة الأسلوب الحكيم تحت موضوع الخروج على مقتضى الظاهر، فهذا هو عين الصواب. ولكن الإشكال يأتي من انضوائه مع الخروج على مقتضى

الظاهر تحت أحوال المسند إليه، والحق أن كثيرا من موضوعات الخروج على مقتضى الظاهر لا تدخل تحت أحوال المسند إليه، ولهذا قال السعد التفتازاني (٧٩١هـ) قبيلا حديثه عن الأسلوب الحكيم: (ولما أنجز الكلام إلى ذكر خلاف مقتضى الظاهر ناسب أن نورد عدة أقسام منه، وأن لم تكن من مباحث المسند إليه)^(٦٦)، ونقل المرشدي العمري^(٦٧) (١٠٣٧هـ) عنه ذلك.

أقول إن من صور الخروج على مقتضى الظاهر التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي وعكسه^(٦٨)، ومجمل ذلك يقوم على صيغ الأفعال، والفعل من مواضع المسند كما هو معروف، ومنها أيضاً الالتفات، ووضع الظاهر موضع المضمرة وعكسه^(٦٩)، وهذه ليست كلها من المسند إليه، وعلى هذا فيأمر الأسلوب الحكيم تحت باب الخروج لا إشكال عليه إلا من ذلك المأخذ على إيراد الباب كله تحت أحوال المسند إليه، والمخرج من ذلك - كما أراه - هو فصل باب الخروج على مقتضى الظاهر عن أحوال المسند إليه، وجعله بابا مستقلا في علم المعاني.

الثاني : دراسته في موضوعات علم البديع :

لعل أول من أدرجه في موضوعات علم البديع - فيما أعلم - هو شرف الدين الطيبي (٧٤٣هـ)، إذ جعله من التحسين الراجع إلى المعنى^(٧٠) وجعل الالتفات^(٧١) معه أيضا في هذا الباب.

وسار عدد من المعاصرين^(٧٢) على هذا المنهج، ويمكن تعليل ذلك بما يلي:

١ - صلته الوثيقة بموضوعين من موضوعات البديع هما: المغالطة المعنوية، القول بالموجب.

٢ - ذكر بعض أصحاب الاتجاه البديعي من أصحاب البديعيات وشروحها له مع موضوعات البديع، مثل ابن مالك الرعي^(٧٣) (٧٧٩هـ)، وابن حجة الحموي^(٧٤) (٨٣٧هـ)، والبديع عند هؤلاء معناه عام يدخل فيه التشبيه والاستعارة، وبعض موضوعات علم المعاني.

٣ - التداخل بين ما يعد من موضوعات علم المعاني، وما كان التحسين فيه راجعا

للمعنى في البديع ، كما هو واضح عند شرف الدين الطيبي (٧٤٣هـ) الذي جعل الالتفات والتغليب من البديع الراجع للمعنى .

والذي أراه أن وضعه في موضوعات البديع كان من أسبابه ما أشرت إليه آنفاً ، فهو ألصق بعلم المعاني لأن جانب مراعاة التركيب واضح فيه ، واقتضاء المقام له كان السبب المباشر فيه .

الثالث : دراسته في باب الاستفهام :

عرض بدر الدين بن مالك (٦٨٦هـ) لدراسة الأسلوب الحكيم في آخر حديثه عن الاستفهام ، حيث بين أن (مقتضى الاستفهام جواب مطابق فلا تخل به إلا لتوخي نكته)^(٧٥) ، ثم ذكر آية الأهلة ، وعقب عليها بقوله : (فأجيبوا مما ترى تنزيلاً للسؤال منزلة غيره ، للتنبيه بالطف وجه على تعدي السائل سؤالاً هو أليق بحاله أو أهم)^(٧٦) ، ثم ذكر مثلاً آخر هو آية النفقة . ومع ذلك كله لم يصرح بمصطلح الأسلوب الحكيم ، كما أنه لم يدرسه في غير هذا الموضع مما يؤكد أنه اكتفى بذكره - عرضاً - في باب الاستفهام .

ويأتي ابن النحوية (٧١٨هـ) الذي اختصر المصباح وسمى مختصره ضوء المصباح ، ثم شرح المختصر وسمى الشرح إسفار الصباح ، قال في هذا الشرح بعد أن ذكر عبارات قريبة من عبارات بدر الدين بن مالك مع زيادات عليها يقتضيها الشرح قال : (وهذا الأسلوب من الكلام تلقى المخاطب بغير ما يترقب تنبيهاً له على خطابه وهو المسمى عندهم بالأسلوب الحكيم)^(٧٧) .

من هذا يتبين أن دراسة هذا النوع في باب الاستفهام تعني الاختصار على شق واحد من نوعي الأسلوب الحكيم ، فتلقى المخاطب لا يدخل في مضمون باب الاستفهام ، وهذا ما يؤخذ على دراسته في هذا الموضع .

ونخلص من ذلك كله إلى أن أولى موضع لدراسة الأسلوب الحكيم هو تحت باب الخروج على مقتضى الظاهر ، وحذا لو كان باباً مستقلاً عن أحوال المسند إليه .

وقفة مع أمثلة البلاغيين للأسلوب الحكيم من القرآن الكريم :

القرآن الكريم هو كلام الله الحكيم ، فلا يعني أن مناقشة أمثلة البلاغيين للأسلوب الحكيم من القرآن الكريم تسعى لإثبات أسلوب الحكمة فيه ، فهذا أمر ثابت لا جدال فيه ، أو تسعى لنفي ذلك ، فالنفي لا يعني نفي الحكمة ، وإنما يعني هذا النوع البلاغي ، وموافقته لما جاء في الآيات الكريمة أو عدم موافقته .

لم يزد البلاغيون المتقدمون - فيما أعلم - على مثالين من القرآن الكريم لهذا النوع البلاغي وهما : قوله تعالى :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾^(٧٧) .

وقوله تعالى :

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الْإِنْفِقَاتُ وَاللِّتَمَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾^(٧٨) .

وفي رأيي أن الاستشهاد بالآيتين لهذا النوع فيه نظر ، فأقول وبالله التوفيق : أما الآية الأولى : فلا تكاد تذكر في كتب البلاغيين شاهداً للأسلوب الحكيم إلا مقترنه بذكر سبب نزولها ، فعليه يعتمد في صلاحية الاستشهاد بها لهذا النوع ، وسبب نزولها - كما ستراه موثقاً في تحقيق رسالة ابن كمال باشا - أن السائلين قالوا : (ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يتزايد قليلاً حتى يمتلئ ويستوي ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا؟)^(٧٩) ، فلهذا السبب يحدد أن السؤال خاص بطلب معرفة سبب تغير حالات الأهلة ، وكان الجواب ببيان منافع ذلك ، ومن هذا الباب صح الاستشهاد بهذه الآية على الأسلوب الحكيم . ويرد على ذلك بما يلي : أن هذا السبب الذي تناقله البلاغيون غير مسلم به ، لأنه^(٨٠) ورد في رجال سنده شخصان متهمان بالكذب هما : السدي والكلبي ، وإليك تفصيل ذلك :

قال السيوطي في بيان سند هذا السبب : (أخرج أبونعيم وابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن بي صالح عن ابن عباس أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنمة . . .)^(٨١) ، ثم ذكر السبب .

والسدي الصغير هو محمد بن مروان السدي الكوفي^(٨٧) قال عنه الذهبي : (تركوه ، واتهمه بعضهم بالكذب ، وهو صاحب الكلبي ، قال البخاري : سكتوا عنه ، وهو مولى الخطابين ، لا يكتب حديثه ألبته ، وقال ابن معين ليس بثقة)^(٨٨) ، والكلبي هو : محمد بن السائب الكلبي أبو النضر الكوفي المفسر النسابة الإخباري^(٨٩) ، ومما ذكره الذهبي عن الكلبي : (وقال البخاري : أبو النضر الكلبي تركه يحيى وابن مهدي ، ثم قال البخاري : قال علي : حدثنا يحيى عن سفيان ، قال لي الكلبي : كل ما حدثتك عن أبي صالح فهو كذب)^(٩٠) ، وفي موضع آخر : (قال ابن عدي : وقد حدث عن الكلبي سفيان وشعبة وجماعة ، ورضوه في التفسير ، وأما في الحديث فعنده مناكير ، وخاصة إذا روى عن أبي صالح عن ابن عباس)^(٩١) .

وفي موضع ثالث : (وقال ابن حبان : مذهبه [الكلبي] في الدين ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه)^(٩٢) .

هذه بعض أقوال رجال الحديث في الكلبي ، وإذا تأملنا روايته لهذا السبب ، وجدناه يرويه عن أبي صالح عن ابن عباس ، وهذا الطريق مما يكذب فيه كما مر آنفاً .

ولهذا فسند هذا السبب ضعيف كما صرح به أكثر من واحد من المفسرين^(٩٣) ، لذلك فلا يمكن أن يعتمد عليه في بيان كيفية السؤال ، وعندئذ يربح إلى لفظ «يسألونك» الذي يحتمل أن يكون السؤال عن السبب وعن الفائدة ، فالسؤال هنا مطلق .

وإذا أضفنا إلى ذلك ما أخرجه ابن جرير الطبري في نزول هذه الآية بسند صحيح عن (قتادة رحمه الله ، قال : سألوا نبي الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك : لم جعلت هذه الأهل؟ فأُنزل الله فيها ما تسمعون ، هي مواقيت لصوم المسلمين ، ولإفطارهم ، ولمناسكهم ، وحجهم ، ولعدة نسائهم ، ومحل دينهم في أشياء ، والله أعلم بما يصلح خلقه)^(٩٤) ، فهذا نص صريح في أن السؤال عن الفائدة ، ولهذا فلا تكون الآية من باب الأسلوب الحكيم ، لأن الجواب مطابق للسؤال .

ويرى ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) أن لفظ سؤالهم محتمل للسؤال عن السبب وعن الحكمة ، فهو يقول : (وإن كانوا سألوا عن السبب ، فقد أجيبوا بما هو أنفع لهم مما

سألوا عنه، وإن كانوا سألوا عن السبب، فقد أجيبوا بما هو أنفع لهم مما سألوا عنه، وإن كانوا إنما سألوا عن حكمة ذلك، فقد أجيبوا عن عين ماسألوا عنه، ولفظ سؤالهم محتمل، فإنهم قالوا: ما بال الهلال يبدو دقيقاً، ثم يأخذ في الزيادة، ثم يأخذ في النقص^(١)، أقول: هذا على فرض صحة سبب النزول، ولا يصح.

من ذلك كله يمكن الجزم بأن استشهاد البلاغيين بهذه الآية للأسلوب الحكيم ليس صحيحاً، والله أعلم.

ولو فرضنا - جدلاً - صحة سبب النزول، فإن محمد بن علي الجرجاني (٧٢٩هـ) يرى أن الاستشهاد بها - أيضاً - غير صحيح، لأن الإجابة كانت مطابقة لجزء من السؤال، يقول الجرجاني في ذلك: (لما سألوا عن سبب اختلاف القمر، والسبب كما يكون فاعلياً، كذا يكون غائياً).

فسببه الفاعلي: اختلاف أوضاعه بحسب قربه أو بعده من الشخص لكون نوره مستفاداً منها^(٢).

وسببه الغائي أن يكون مواقيت للناس، إذ لو ثبت على شكل واحد في المرأى لا يصلح لأن يكون مواقيت كباقي الكواكب، اللهم إلا بالطلوع والغروب، لكنها غير كافيتين لتوقيت جمع الحوادث.

وإنما أجابهم بالسبب الغائي: إما لعلمه تعالى بمرادهم، أو لعلمه بأنهم لم يفهموا السبب الفاعلي، فلا تكون الآية من هذا الباب^(٣)، وهذا تأكيد من الجرجاني على عدم صحة الاستشهاد بهذه الآية، لأن السؤال عن السبب، والإجابة تضمنت السبب الغائي.

وأما الآية الثانية: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ . . ﴾ الآية، فقد اختلف البلاغيون في صحة الاستشهاد بها على الأسلوب الحكيم، فمن رأى أن السؤال عن بيان ما ينفق، والجواب عن بيان المصرف جعلها من الأسلوب الحكيم، ومن هؤلاء السكاكي^(٤) (٦٢٦هـ) والقزويني^(٥) (٧٣٩هـ)، والسعد التفتازاني^(٦) (٧٩١هـ) وابن كمال باشا^(٧) (٩٤٠هـ)، والمرشدي العمري^(٨) (١٠٣٧هـ). وذكر آخرون احتمال ألا تكون صالحة للاستشهاد بها في الأسلوب الحكيم، ومن هؤلاء

بهاء الدين السبكي (٧٧٣هـ). الذي قال: (وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه جاء عمرو بن الجموح، وهو شيخ كبير له مال عظيم، فقال: ماذا ننفق من أموالنا؟، وأين نضعها؟، فنزلت، فعلى هذا ليست الآية ممانحن فيه، لأن السائل لم يتلق بغير ما يتطلب، بل أجيب عن بضع ما سأل عنه)^(١٨)، فهذا الرأي المبني على معرفة سبب النزول يؤكد على أن بيان المصرف مسؤول عنه، فيكون الجواب مطابقا لجزء من السؤال.

وقال بمثل هذا الرأي كل من: ابن يعقوب المغربي^(١٩) (١١٢٨هـ) والدسوقي^(٢٠) (١٢٣٠هـ)، ومن المفسرين من أخذ بهذا الرأي مثل: الشهاب الخفاجي^(٢١) (١٠٦٩هـ)، والألوسي^(٢٢) (١٢٧٠هـ).

وللزغشري (٥٣٨هـ) رأي يؤكد فيه أن الجواب مطابق للسؤال دون نظر إلى سبب النزول، حيث يقول: (فإن قلت: كيف طابق الجواب السؤال في قوله: (قل ما أنفقتم)، وهم قد سألوه عن بيان ما ينفقون، وأجيبوا ببيان المصرف؟ قلت: قد تضمن قوله: ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ بيان ما ينفقونه، وهو كل خير، وبني الكلام على ما هو أهم، وهو بيان المصرف، لأن النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها)^(٢٣)، وهذا ما اعترف به - ضمنا - ابن كمال باشا (٩٤٠هـ) في رسالة كما سيأتي.

كما أكد محمد الجرجاني (٧٢٩هـ) أن في الاستشهاد بهذه الآية على الأسلوب الحكيم نظرا، وعلل ذلك بقوله: (فإن سؤلهم لم يكن عن مطلق الإنفاق، بل عن إنفاق المال النافع في الآخرة، فالنافع هو فضل المسؤول عنه، فأجاب الله تعالى بملزوم الفضل، وهو أن يكون الإنفاق على المذكورين، وأراد بالخير المال، لقوله تعالى: ﴿وَأِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾^(٢٤) (١٠٥).

وقد أشار الشيخ ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) إلى أن سياق الآية تضمن الإجابة عما سألوه^(٢٥).

واستنادا على ماسبق، فهل يمكن القول بأن هذه النوع البلاغي ليس له أمثلة من القرآن الكريم؟

أقول : يصعب الجزم بذلك ، لأن النفي كان منحصرًا فيما أورده البلاغيون ، وهما آيتا الأهله ، والنفقة ، ولذلك ينبري السؤال الآتي : ألا يوجد في القرآن الكريم ما يصلح أن يكون شاهدا لهذا النوع ؟

أقول لقد وقفت على بعض الآراء^(١٠٧) التي خرجت بعض الآيات على أنها من الأسلوب الحكيم ، وإن كان لي رأي آخر فيها ، وهذا ماسنراه بعد قليل عند عرض أمثلة الأسلوب الحكيم .

قسما الأسلوب الحكيم وأمثلهما :

تبين من تعريف الأسلوب الحكيم أنه قسمان :

- ١ - تلقي المخاطب بغير ما يترقب .
- ٢ - إجابة السائل بغير ما يتطلب .

ولقد تكرر في كتب معظم البلاغيين أربعة أمثلة ، بل إن كثيرا منهم اقتصر عليها ، وهذه الأمثلة هي :

- ١ - البيتان المنسوبان لحاتم الطائي .
- ٢ - ومحاورة الحجاج وابن القبعثري .
- ٣ - آية الاهله .
- ٤ - آية النفقة .

ويجعل كثير من البلاغيين البيتين المنسوبين لحاتم ، والمحاورة بين الحجاج وابن القبعثري من القسم الأول ، ويجعلون الآيتين من القسم الثاني .

وبالرغم من ذلك ، فالقسمان يتنازعان بعض الأمثلة ، لتداخلهما ، كما نبه على ذلك بهاء الدين السبكي (٧٧٣هـ) ، بعد ما ذكر القسم الثاني (إجابة السائل) قال : (وعندي أن هذا من القسم الأول إلا أن فيه سؤالا ، فهو أخص من هذا الوجه ، وأعم باعتبار أنه ليس فيه حمل الكلام على غير ظاهره ، فهو بهذا الاعتبار أجدر بأن يمثل له - لا الذي قبله - بقوله : أتت تشتكي . . . البيتين . . .^(١٠٨) فالسبكي يرجح جعل البيتين من القسم الثاني ، وقد يكون عذره في ذلك ما رآه بينهما من عموم وخصوص .

وإن كنت أرى أن البيتين أقرب إلى القسم الأول ، لعدم ظهور السؤال فيهما بشكل صريح .

وأما الاستشهاد بالآيتين ، فقد فصلت القول في صحة الاستشهاد بهما كما مر آنفا ورجحت عدم صحة ذلك .

وإذا كان الأمر كذلك فقط سقط نصف الأمثلة - على قلتها - فيه يعني ذلك قلة أمثلة الأسلوب الحكيم ؟

الحق أن التراث زاخر بأمثلة عديدة يمكن تصنيفها شواهد للأسلوب الحكيم ، كما أن لهذا الأسلوب مجالات واسعة يمكن أن يسخر لخدمتها ، وهذا ما سأسعى لتوضيحه في الفقرة التالية .

مجالات التعبير بالأسلوب الحكيم :

مما تتميز به رسالة ابن كمال باشا في الأسلوب الحكيم أنها تضمنت أمثلة للأسلوب الحكيم ليست في كتب البلاغيين ، وبخاصة تلك الأمثلة من الحديث الشريف ، كما تميزت بالفصل بين أمثلة الأسلوب الحكيم ، وأمثلة القول الموجب .

ولهذا فإني أرغب في أن تتميز هذه الدراسة بجمع عدد من الأمثلة للأسلوب الحكيم تكون في متناول الدارس لهذا النوع ، كما أرغب في الدعوة إلى تسخير هذا النوع لخدمة بعض المجالات الأدبية ، من خلال عرض المجالات التي يمكن أن يستخدم فيها مثل هذا الأسلوب ، وسأتجنب ذكر الأمثلة التي وردت في رسالة ابن كمال باشا ، تحاشيا للتكرار .

ولا أجاوز الحقيقة إذا قلت إن مجالات الأسلوب الحكيم واسعة ، يصعب حصر بعضها ، فمنها :

ما يحدث بين الأب وابنه الصغير الذي قد يلقي أسئلة لا يحسن ذكر إجابتها له ، لعدم قدرته على استيعابها ، أو لخطورتها ، وبخاصة إذا كانت تتصل بالذات الإلهية ، فيكون الخروج من هذا الموقف عن طريق الأسلوب الحكيم ، فإذا كان الأسلوب الحكيم يظهر حتى في المحاورة بين الأب وابنه ، فما بالك بالمحاورات المتنوعة التي

يمكن أن يسهم هذا النوع البلاغي في خدمتها، وتبرز من خلاله بلاغة الكلام، وتتكشف أسرار البلاغية، فمن تلك المجالات:

- محاورة المدرس لطلابه وإجابته فيما ينفعهم.
- محاورة الصديق لصديقه، وصرفه عن موضوع سؤاله إلى موضوع آخر.
- التخلص من بعض الأسئلة المحرجة، وذلك بتحويل الإجابة إلى موضوع آخر لاجترج فيه، وهذا يتمثل بصورة جلية في محاورات الإعلاميين للشخصيات السياسية أو غير السياسية من كبار المسؤولين.
- مجال الجدل، والرغبة في إطالة الكلام، وصرفه عن موضوع لآخر.
- الحوار بين شخصيات المسرح.
- إضفاء الدعابة والسخرية على موضوع الحديث أيا كان مجاله من خلال الاعتماد على معنى بعض ألفاظ المحاورة.
- التخلص من أسئلة الصحفيين.
- التأدب مع المخاطب.
- البراعة في استدراج المخاطب إلى ما يرغب فيه المتكلم، دون أن يثير حفيظته.
- الحوار بين شخصيات الرسوم الكاريكاتيرية، وهذا يعين على تحقيق: إيجاز اللفظ والدعابة.

وقد حرصت على جمع عدد من الأمثلة يغطي معظم المجالات السابقة، وسأتبع كل مثال ببيان موضع الشاهد ووجه الاستشهاد به، وبيان غرضه البلاغي، مع أيؤكد أن إجراء دراسة مستقلة تحشد فيها الأمثلة المتنوعة للأسلوب الحكيم في مجال واحد من تلك المجالات يصلح أن يكون بحثا مستقلا، فلعل الله ييسر أو لغيري القيام بذلك.

وسأبدا بعرض الأمثلة مبتدئا بالقرآن الكريم، ثم الحديث الشريف، بعد ذلك سأعرض ما ورد في محاورات تراثية يمكن إدخالها تحت مفهوم الأسلوب الحكيم، ثم ما يصلح أمثلة له من الشعر، وأختم ذلك بسرد مجموعة من الأمثلة المعاصرة التي تعين على إفهام هذا النوع للطلاب، وتجعلهم قادرين على استعماله في أساليبهم، من خلال التمكن من القياس على تلك الأمثلة:

أولاً : من القرآن الكريم :

وقفت على آيتين كريمتين ذكر بعض الباحثين^(١١٠) أنهما من الأسلوب الحكيم، وهما:

١ - قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾^(١١١)، وقد عقب الطاهر بن عاشور على هذه الآية بقوله: (. . . وجملة ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ جواب لسؤالهم جرى على الأسلوب الحكيم، من تلقي السائل بغير ما يتطلب، إذ هم حين قالوا: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ أرادوا التهكم والإحالة فتلقي كلامهم بغير مرادهم، لأن في الجواب ما يشفي وقع تهكمهم . . .)^(١١٢) .

وعندي أن جعل هذه الآية من باب الأسلوب الحكيم فيه نظر، لأنه إذا حددنا المراد بالسؤال، وأنه طلب معرفة زمان يوم الدين، وإذا تأملنا جملة الجواب، وجدناها تشتمل على تحديد زمن هذا اليوم، وهو اليوم الذي يفتنون فيه على النار، وهو وإن لم يكن محددة بيوم عين معروف وقته، إلا أنه حدد بالوصف، وهذا نوع من التحديد.

ووجه إدخال الآية في هذا النوع هو عدم إجابة السائلين بما يطلبون، حيث سألوا - تهكمًا - عن تحديد موعد ذلك اليوم، فكانت الإجابة بتحديد بوصفه .

ومما يؤيد ما ذكرته أن القاضي البيضاوي قال: ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ : أي يحرقون، جواب للسؤال، أي: يقع ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾^(١١٣) فهذا تصريح من البيضاوي في أن الجواب فيه تحديد زمان وقوع ذلك اليوم.

ويمكن الوقوف على عبارة ابن عاشور التي أشار فيها إلى أن جواب السؤال على الأسلوب الحكيم من تلقي السائل بغير ما يتطلب، لأن السائلين أرادوا التهكم والإحالة، فكان الجواب بغير ما أرادوا.

أقول يمكن الوقوف على ذلك، ومناقشته من وجهين:

الأول : هو ادعاء أن الجواب كان بغير مرادهم، اعتماداً على أن الغرض من سؤالهم هو التهكم والإحالة، وهو لا يطابق الجواب .

وهنا تبرز قضية هي ما الأمر الذي يُعتد به في معرفة التطابق بين السؤال والجواب ،
أهو الغرض من السؤال؟ أم صياغة السؤال؟ لأن ابن عاشور جعل عملية التطابق
بين الغرض من السؤال، وتطابقه مع الجواب .

والذي أراه أن الاعتداد ينبغي أن يكون لصيغة السؤال ، وذلك لسببين :
١ - أن الأسلوب الحكيم من موضوعات علم المعاني ، فالنظر فيه يعتمد على جانب
الصياغة والتركيب .

٢ - أن الاختلاف في تحديد الغرض باب واسع تصعب السيطرة عليه ، وأما جانب
الصياغة فسيكون الخلاف فيه نادرا ، وإن حدث فإن يكون كبيرا .

ولو افترضنا أن سائلا ألقى سؤال ، وأخطأ في صياغة سؤاله ، فلم يطابق غرضه من
السؤال ، فهل يعتد بالغرض الذي يصعب تحديده؟ أو يعتد بصيغة السؤال ، ولو
كانت خاطئة؟ فإن اعتدنا بالغرض فإننا نهمل جانب الصياغة ، وهذا يعني أنه لم
يعتمد على الكلام ، كأنه لم يكن ، وفي هذه الحالة تتحول اللغة من لغة صياغة للكلام
وبيان في الأسلوب إلى لغة نفسية ، يكون التخاطب فيها نفسيا قائما على الحدس
والظن ، أو لغة إشارات بالأيدي والرؤوس والعيون .

وسأتي في الأمثلة النثرية نماذج يتبين فيها الفرق بين غرض السائل ، وصياغة سؤاله
وبخاصة فيما يتصل بتحديد عمر المسؤول ، لهذا كله فإني أرى أن بناء التطابق بين
السؤال والجواب ينبغي أن يكون الفيصل فيه هو الصياغة وليس الغرض ، إذا كانت
صيغة السؤال لا تحتمل أكثر من وجه .

الثاني : هل يفهم من كلام ابن عاشور معارضته لدلالة السؤال بأيان عن
الزمان؟ أقول لا يفهم من كلامه ذلك ، ولهذا فالسؤال عن الزمن ، والجواب تضمن
تحديد الزمن .

ومن هنا يتبين أن جعل الآية من باب الأسلوب الحكيم فيه نظر .

٢ - وقوله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٤٣﴾ إِلَى رَبِّكَ مُنْهَلَا ﴿٤٤﴾
إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ تَحْشَاهَا ﴿١١٣﴾ . قال عنها الطاهر بن عاشور : (. . .)

وقوله : فيما أنت من ذكرها) واقع موقع الجواب عن سؤالهم عن الساعة ، باعتبار ما يظهر من حال سؤالهم عن الساعة من إرادة تعيين وقتها ، وصرف النظر عن إراداتهم به الاستهزاء ، فهذا الجواب من تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، وهو من تلقي السائل بغير ما يتطلب ، تنبيها له على أن الأولى به أن يهتم بغير ذلك ، وهو مضمون قوله : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مِّنْ يَّحْشَهَا ﴾ ، وهذا ما يسمى بالأسلوب الحكيم^(١١٤) ، ثم ذكر نظير ذلك من الحديث الشريف ، وهو سؤال الرجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة ، وإجابته صلى الله عليه وسلم بسؤال الرجل نفسه عما أعد للساعة ، ولم يتضمن جوابه صلى الله عليه وسلم - كما سيأتي أي نوع من التحديد .

وهذا التخريج من ابن عاشور لهذه الآيات ، وأنها من الأسلوب الحكيم فيه نظر أيضا ، بل هو - في نظري - أضعف من رأيه في المثال الأول ، وذلك لتضمن الآية الجواب عن السؤال ، ولندرك ذلك ، فلنقرأ معنى السؤال في الآية ، يقول البيضاوي : (. . . متى إرساؤها : أي إقامتها وإثباتها ، أو منتهاها ومستقرها ، من مرسى السفينة ، وهو حيث تنتهى إليه ، وتستقر فيه)^(١١٥) ، فإذا كان الأمر كذلك ، ففي قوله تعالى : إلى ربك منتهاها) تحديد ذلك ، والإجابة على السؤال ، فمنتهاها ومستقرها إلى الله عز وجل ، فهو العليم بذلك ، فيكون التطابق بين السؤال والجواب ظاهرا .

وعند تأمل هذه المناقشة ، والرجوع إلى مناقشة رأي البلاغيين في الاستشهاد بآتي الأهله ، والنفقة ، يتبين أنه لم يسلم للأسلوب الحكيم - فيما ذكر - مثل صريح من القرآن الكريم .

ثانيا : من الحديث النبوي الشريف :

لم أقف في كتب البلاغيين على أمثلة للأسلوب الحكيم غير ما ذكره ابن كمال باشا في رسالته ، ولكن الله يسر لي الوقوف على مجموعة من الأحاديث - غير ما ورد في رسالة ابن كمال باشا - ولو كان الغرض الاستقصاء لكن العدد أكثر ، ولكني اكتفيت بما وقفت عليه مؤيدا بتصريح بعض العلماء في جمل الحديث من الأسلوب الحكيم :

١ - «عن أنس أن رجلا من أهل البادية أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله! متى الساعة قائمة؟ قال: ويلك!، وما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله . قال : إنك مع من أحببت . . .»^(١١٦) .

فسؤال الرجل كان عن موعد قيام الساعة، وإجابته صلى الله عليه وسلم كانت عبارة عن سؤال وجهه للرجل عما أعده لقيام الساعة، وقد أشار ابن عاشور في موضعين^(١١٧)، إلى أن هذا الحديث من الأسلوب الحكيم، وفي أحد الموضعين ذكر بعض الحديث على أنه نظير الآية السابقة في كونه من هذا النوع البلاغي، ثم عقب ابن عاشور ببيان الغرض من ذلك فقال: (أي كان الأولى أن تصرف عنايتك إلى الاستكثار من الحسنات إعداداً ليوم الساعة)^(١١٨)، فالخروج عن الجواب مراعاة لحال السائل، وأن هذا هو الأولى به .

وقد سبق أن صرح محمد بن يوسف الكرمانى (٧٨٦هـ) في شرحه لصحيح البخارى^(١١٩) أن هذا من باب الأسلوب الحكيم، فقال: (فإن قلت: كيف طابق «ما أعددت لها» للسؤال؟ قلت: سلك مع السائل طريق الأسلوب الحكيم، وهو تلقي السائل بغير ما يهيمه) .

٢ - «عن عائشة رضي الله عنها أن قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن قوما يأتوننا باللحم، لاندري: أذكروا اسم الله عليه أم لا؟، فقال: «سموا الله عليه أنتم وكلوه»^(١٢٠) فالسائلون كانوا يخبرون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالة هذا اللحم، وأنهم لا يعلمون أيذكر اسم الله عليه أم لا؟

فكان جوابه صلى الله عليه وسلم أن أمرهم بأن يسموا هم عليه، ثم يأكلوه، وقد رأى الصنعاني (١١٨٢هـ) أن هذا من الأسلوب الحكيم فقال: (ويكون الجواب عنهم بقوله: «فسموا» إلخ من الأسلوب الحكيم، وهو جواب السائل بغير ما يترقب، كأنه يقول: الذي يهكم أنتم أن تذكروا اسم الله عليه، وتأكلوا منه)^(١٢١)، وجوابه صلى الله عليه وسلم كان مراعيًا لحال السائل، وبيان ما يصلح له .

٣ - «عن عقبة بن عامر قال: لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما النجاة؟ فقال: «أملك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»^(١٢٣) يقول شرف الدين الطيبي (٧٤٣هـ): (وهذا الجواب من باب الأسلوب الحكيم، سأل عن حقيقة النجاة، فأجاب عن سببه، لأنه أهم بحاله وأولى)^(١٢٤)، وفي هذا التعقيب بيان لفائدة من هذا النوع البلاغي في هذا الحديث الشريف.

٤ - «عن أبي أمامه قال: قال أبو ذر: يا نبي الله! أرايت الصدقة ماذا هي؟ قال: «أضعاف مضاعفة، وعند الله المزيد»^(١٢٥)، ويعقب الطيبي على ذلك بقوله: (. . .) فالسؤال عن حقيقة الصدقة، لا يطابقه الجواب بقوله: «أضعاف» أي: هي أضعاف، لكنه وارد على الأسلوب الحكيم، يعني: لاتسأل عن حقيقتها، فإنها معلومة، وسل عن ثوبها، ليرغبك فيها، ومحرضك عليها^(١٢٦). ففي هذه الإجابة مراعاة لحال السائل.

٥ - «عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال يارسول الله! إنا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء فإن توضعنا به عطشنا، أفنتوضأ بهاء البحر؟

فقال صلى الله عليه وسلم: «هو الطهور ماؤه والحل ميتته»^(١٢٧)، فمن مقتضى الظاهر الجواب نعم أو الاكتفاء بقوله: «هو الطهور ماؤه»، ولكنه صلى الله عليه وسلم أضاف: «والحل ميتته»، ولو نظرنا إلى السائل، وأنه ممن يركب البحر لأدركنا الحكمة من هذه الزيادة، لأن المسافر في البحر يحتاج إلى غذاء ومن هذا الغذاء ما يعيش في البحر من أسماك وغيرها، فإضافته صلى الله عليه وسلم فيها مراعاة لحال السائل، وأنه كما سأل عن الوضوء بهاء البحر، فإن مما يهيمه معرفة الفتوى في صيد البحر.

ويقول ابن العربي (٥٤٣هـ): (قوله: «ميتته» زيادة على الجواب وذلك من محاسن الفتوى بأن يجاب السائل بأكثر مما سأل عنه، تتميهاً للفائدة، وإفادة لعلم آخر غير المسؤول عنه)^(١٢٨)، وعقب الطيبي (٧٤٣هـ) على هذا الحديث بقوله: (وكان من

ظاهر الجواب أن يقال : نعم ، فأطنب وزاد في الجواب . . . فأعلم هذا الجواب بأن الزيادة على ما يقتضي الحال ذكره من شأن الهادي المرشد ، والحكيم العارف بالأدواء والدواء^(١٢٨) .

ولعل هذا الحديث مثل خير تمثيل ما سبق ذكره في الحديث عن حالة الجواب مع السؤال ، وبخاصة الحالة الثانية منه ، وهي التي كون الجواب فيها مشتملاً على المراد وزيادة ، وتكثر هذه الحالة في مسألة الفتوى ، وقد أشرت - فيما سبق - إلى أن البخاري رحمه الله جعل باباً في كتاب العلم عنوانه : «باب من أجاب السائل بأكثر مما سأله»^(١٢٩) .

ثالثاً : المحاورات الثرية التراثية :

وسأذكر في هذا القسم مجموعة من المحاورات الأدبية التراثية ، وسأجعلها نوعين :

الأول : ما يدخل صراحة في الأسلوب الحكيم .

الثاني : ما كان الحوار فيه مشتملاً على الأسلوب الحكيم وغيره ، وقد يظهر التكلف في جعله من الأسلوب الحكيم .

فالأول : من أمثلته :

١ - ما ذكره الذهبي : (قال الزبير بن بكار: سئل العباس : أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقال : هو أكبر مني ، وأنا أسن منه)^(١٣٠) ، وعقب الذهبي على هذا الخبر بقوله : (كذا ذكره بلا إسناد)^(١٣١) ، وهو وإن كان معلقاً لم يرو بإسناد فلا بأس بقبوله ومناقشة أسلوبه ، لأنه ليس متضمناً لحكم شرعي ، ثم إن شأنه شأن جل الأخبار والحوادث التاريخية التي تروى كتب التاريخ هو السير التي قبلها أهل العلم .

ويلحظ أن العباس رضي الله عنه - تأدبا مع مقام الرسول صلى الله عليه وسلم - جعل الكبر المسؤول عنه صفة معنوية يقصد بها المنزلة والمكانة ، فجعلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أجاب السائل عن سؤاله الذي يقصد به تحديد أيهما أسن من الآخر .

والذي سوغ للعباس رضي الله عنه هو أن كلمة أكبر يحتمل أن يراد بها أكبر في المنزلة والقيمة، كما يحتمل - وهو مراد السائل - أن يراد بها أكبر في عدد السنوات.

فكأن العباس رضي الله عنه يومئذ بهذه الإجابة إلى ما قد يطرأ على سامع السؤال، من أن المسؤول عنه هو المنزل والمكانة، ولهذا بادر بإثبات ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أجاب عن مراد السائل.

ويلحظ أن هذا المثال تضمن الجواب عن مراد السائل، كما تضمن زيادة عليه، وكانت هذه الزيادة متكئة على كلمة أكبر وردت في السؤال فمن الحكمة الاحتراز بها أجاب به العباس، حتى يقطع دابر التوهم بأن المراد غير ما ورد في الجواب، ويقصده المجيب.

كما يلحظ أن جواب العباس رضي الله عنه روعي فيه غرض السائل، وصياغة السؤال.

فغرض السائل تحقق في قوله «وأنا أسن منه» وهذه مطابقة للسؤال فلا يدخل هذا الجزء في باب الأسلوب الحكيم، ولكن لا يمكن الاستغناء عنه كما سيأتي.

وصياغة السؤال هي التي أوحى للعباس بجوابه الذي يمثل باب الأسلوب الحكيم، وهو قوله: «هو أكبر مني».

ولا يمكن الاستغناء عن الشق المطابق، لأنه هو الذي يكشف مراد العباس من كلمة «أكبر» وأنه يعني بها المكانة، بدليل استعماله في الشق المطابق لكلمة «أسن»، ولو اقتصر الجواب على قوله: «هو أكبر مني» لأوهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم أسن من العباس.

ومن هنا تتجلى الحكمة في هذا الجواب وأنها التأدب والاحتباس.

٢ - سأل (الحجاج المهلب بن أبي صفرة:) أنا أطول أم أنت؟

قال : أنت أطول، وأنا أبسط قامة^(١٣٣).

فالمعروف أن الحجاج قصير القامة، والمهلب رجل طويل، وهذا يكشف أن مراد الحجاج هو اختبار المهلب في كيفية تخلصه من هذا الموقف، لأن السؤال في ظاهره عن

الطول الذي هو ضد القصر، فأجاب المهلب بإثبات الطول الذي هو بمعنى الرفع والفضل^(١٣٣) للحجاج، ثم أجاب عن ظاهر مراد السؤال باستعمال كلمة «أبسط» التي تعني على أنه أراد بكلمة أطول معنى آخر.

وهذا المثال يشابه جواب العباس في صياغته، ولعله صنع على منواله، وإن كنت أشك في أن يوجه الحجاج مثل هذا السؤال!! إلا إن كان غرضه إحراج المهلب! ويكون الغرض من هذا المثال هو التأدب والتخلص.

٣ - ذكر أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) أنه : (دخل سعيد بن مرة الكندي على معاوية فقال له : أنت سعيد؟

قال : أمير المؤمنين السعيد، وأنا ابن مرة)^(١٣٤) والغرض من ذلك التأدب.

٤ - ذكر عز الدين بن الأثير (٦٣٠هـ) في حوادث سنة ٢٠٤هـ : أنه لما حضر السيد ابن أنس الأزدي (٢١١هـ) عند المأمون، قال المأمون : (أنت السيد؟

قال : أنت السيد يا أمير المؤمنين، وأنا ابن أنس، فاستحسن ذلك)^(١٣٥)، فلما كانت كلمة السيد دالة على صفة السيادة والرئاسة، إضافة إلى دلالتها العملية على ابن أنس الأزدي، أثر ابن أنس إثبات تلك الصفة للمأمون تأدبا وتقديرا، وهذا جواب لا يترقبه السائل، ثم أعقب ذلك بالإجابة عن السؤال بقوله : «وأنا ابن أنس». وهذا المثال مشابه للمثالين السابقين في طريقة صياغته، والغرض منه .

٥ - ذكر الجاحظ (٢٥٥هـ) أن رجلا سأل (بلالا مولى أبي بكر رحمه الله - وقد أقبل من الحلبة - من سبق؟

قال : سبق المقربون !

قال : إنما أسألك عن الخيل !

قال : وأنا أجيبك عن الخير.)^(١٣٦)، ثم عقب الجاحظ على ذلك بقوله : (فترك بلال جوابه بلفظه إلى خبر هو به أنفع له)^(١٣٧)، فهذا النوع تكمن فائدته في توجيه السائل لما هو أنفع له من خلال رؤية المجيب.

٦ - وورد عند الجاحظ أيضا قوله: (قال أبو عبيدة: استقبل عامر بن عبد القيس رجلاً في يوم جلسته، فقال: من سبق يا شيخ؟ قال: المقربون)^(١٣٨)، وهذا يتفق مع المثال الذي قبله في الصياغة، الغرض، ويختلف في أنه مختصر، إذ اقتصر على موضع الشاهد.

٧ - وذكر ابن معصوم المدني (١١٢٠هـ) حكاية طريفة بين المتوكل وأبي العبر، يقول فيها: (حكى عن المتوكل أنه رأى رجلاً (أبا العبر) لبس القلنسوة في رجله، وجعل الخف على رأسه، وجعل قميصه سروالا، وسرواله قميصا، فقال: علي بهذا المثل!

قال المتوكل: أنت شارب؟

قال: لا، بل عنفة^(١٣٩) يا أمير المؤمنين!

قال: إني واضح في رجلك الأدهم، ونافيك إلى فارس.

قال: اجعل في رجلي الأشهب، وانفني إلى راجل.

قال: أتراني في قتلك مأثوم^(١٤٠)؟

قال: لا، بل ماء بصل يا أمير المؤمنين.

فضحك المتوكل، ووصله^(١٤١) ويبدو أن أثر الصنعة باد على هذه المحاورة، ولعله يظهر بجلاء في قول أبي العبر: «اجعل في رجلي الأشهب، وانفني إلى راجل» فالأشهب يريد به الخيل، فإن جاز أن يقول المتوكل إني واضح في رجلك الأدهم وهو يريد به القيد، فلا يجوز أن نقول اجعل في رجلي الخيل. . ، فهذا ضرب من العبث في التعبير، حتى وإن جعل ذلك من باب المشاكلة، فالضعف باد عليه، ومما يقوي جانب التكلف في هذا قوله «وانفني إلى راجل» رادا على قول المتوكل ونافيك إلى فارس، فلم أقف على بلد باسم «راجل» حتى يستقيم له هذا التأويل.

ومما يهون الأمر أن هذا النص غرضه الدعابة والهزل، ولهذا يمكن التساهل في ذلك - من هذا الجانب.

وأما من ناحية موافقة هذه المحاوراة لفهولم الأسلوب الحكيم؁ فكل إجابة لأبي العبر صالحة للاستشهاد بها على هذا النوع؁ بدء من قوله : « لا؁ بل عنفقه » . . ، لأنه اتكأ على كلمة شارب التي يوحى سؤال المتوكل أنه قصد « أهو شارب خمرًا؟ » فحول أبو العبر معنى شارب إلى ماينبت من الشعر فوق الشفة العليا في الرجل؁ وانطلق من ذلك ليوجب بقوله : لا؁ بل عنفقه؁ لأنها الشعيرات التي بين الشفة السفلى والذقن؁ وهذا معنى لا يترقبه السائل .

ولهذا فقد اتكأ الأسلوب الحكيم - هنا - على التورية في كلمة شارب؁ فالتورية كانت معاضدة للأسلوب الحكيم .

ومثل ذلك يقال عن إجابات أبي العبر الأخرى؁ فالأدهم حولها من معنى القيد في السؤال إلى معنى الفرس في قوله الأشهب؁ وقد أفاد صانع الحوار؁ أو قائله من محاوراة ابن القبعثري للحجاج في هذا الجزء من المحاوراة .

كما حول أبو العبر معنى كلمة فارس في سؤال المتوكل من اسم البلاد المعروفة إلى الفروسية؁ لذكره لكلمة راجل التي تعين على هذا المعنى مع أنه أيضا يريد بها التورية؁ لتكون مشتملة على معنيين : اسم المكان؁ والمحارب الذي لامطية له .

وأخيرا تحويله معنى مأثوم من الإثم والذنب؁ إلى قراءة أخرى لهذه الكلمة تجعلها متكونة من لفظين مضاف ومضاف إليه « ماء ثوم »؁ ولهذا سوغ لنفسه أن يقول ماء بصل .

فهذه المحاوراة مما تعاضد فيه الأسلوب الحكيم والتورية؁ وهذا من طرائف هذا الباب؁ وهو مما يزيد في إضفاء الدعابة والهزل على هذه المحاوراة .

والثاني : من الأمثلة النثرية ما كانت المحاوراة فيه مشتملة على الأسلوب الحكيم وغيره؁ وقد يظهر التكلف في إدخال بعضها في الأسلوب الحكيم؁ ومن هذا النوع :

١ - محاوراة خالد بن الوليد رضي الله عنه لعبد المسيح بن بقيقة الغساني :

- قال ابن بقيقة : أنعم صباحا أيها الملك !

- قال خالد رضي الله عنه : قد أغنانا الله عن تحيتك هذه ، فمن أين أقصى أثرك أيها الشيخ ؟
- قال : من ظهر أبي ؟
- قال : فمن أين خرجت ؟
- قال : من بطن أمي ؟
- قال : فعلام أنت ؟
- قال : على الأرض .
- قال : فقيم أنت ؟
- قال : في ثيابي .
- قال : أتعقل لا عقلت ؟!
- قال : إي والله وأقيد !
- قال : ابن كم أنت ؟
- قال : ابن رجل واحد ؟
- قال خالد : ما رأيت كالיום قط ، إني أسأله عن الشيء . وينحو في غيره .
- قال : ما أنبأتك إلا عما سألت ، فسل عما بدا لك ^(١٤) .

فهذه المحاوراة لاتدخل كلها في الأسلوب الحكيم ، ويظهر أن إدخال بعضها يحتاج إلى شيء من التكلف ، لأن ابن بقليله قال في آخر ما ذكر من المحاوراة ، ما أنبأتك إلا عما سألت ، فهذا يعني أنه أجابه على ظاهر سؤاله ، وهذا الذي سبق أن أشرت إليه في قضية ما الذي يمكن أن يراعى في الجواب ؟ صياغة السؤال أو غرض السائل ؟! فعندما تكون صيغة السؤال مثل : « ابن كم انت ؟ » فهي ليست الصيغة المتعارف عليها للسؤال عن العمر الزمني ، ولهذا أجاب ابن رجل واحد .

ولا يعني انتفاء دخول ذلك في الأسلوب الحكيم ، ولكنه يحتاج إلى تكلم في صياغة السؤال ، ليكون مسوغا للإجابة .

ولو وقفنا عند قول خالد رضي الله عنه : أتعقل لا عقلت ؟! ، وجواب ابن

بقيلة : أي والله وأقيد، فسنلاحظ سهولة في صياغة السؤال، وإجابة دخولها ظاهر في الأسلوب الحكيم، فكان السؤال : أتعي الأمر وتعقله؟ فحولها ابن بقيلة إلى اشتغالها على معنيين المعنى المذكور في السؤال ومعنى آخر مأخوذ من تقييد قوائم الدابة، أعان على ذلك عطفه بأقيد عليها.

وهذه المحاوراة - مع ماتضمنت من الأسلوب الحكيم - تهدف إلى إظهار القدرة على الجدل والمناورة، وبيان البراعة في التخلص من السائل.

٢ - ومثل ذلك محاوراة بين ابن القبعثري وأعرابي :

ففي يوم قائف، وتحت أشعة الشمس الحارقة، والغضببان بن القبعثري يتفياً ظلال خيمته، بينما الأعرابي يتلطي في حرارة الشمس، في هذا الموقف جرت المحاوراة التالية :

- قال الأعرابي : ما اسمك يا عبد الله؟
- قال الغضببان : آخذ !
- فقال : ما تعطي؟
- قال : أكره أن يكون لي اسمان !
- قال : بالله من أين أنت؟
- قال : من الأرض .
- قال : فأين تريد؟
- قال : أمشي في مناكبها .
- قال الأعرابي - وهو يرفع رجلاً، ويضع أخرى من شدة الحر : أنقرض الشعر؟
- قال : إنها يقرض الفأر .
- قال : أفتسجع؟
- قال : إنها تسجع الحمامة
- قال : يا هذا ائذن لي أن أدخل قبلك !
- قال : خلفك أوسع لك .

- فقال : قد أحرقتني حر الشمس !

- قال : ما لي عليها من سلطان^(١٤٣) .

والتشابه بين بعض فقر هذه المحاوره، والمحاوره التي سبقتها واضح ، ولكن التكلف في بعض الإجابات ظاهر بين هنا، ويُعد بعض الفقر عن مفهوم الأسلوب الحكيم، لأن الجواب فيها مطابق للسؤال، «مثل أمشي في مناكبها» خلفك أوسع لك»، و«ما لي عليها من سلطان» .

وفي الوقت نفسه يظهر الأسلوب الحكيم في «إنما يقرض الفأر، وإنما تسجع الحمامة» .

والغرض الظاهر من هذه المحاوره التخلص من السائل .

٣ - ومنها محاوره بين هشام القرطبي ورجل :

(حكى أن رجلا قال لهشام القرطبي : كم تعد؟

- قال : من واحد إلى ألف ألف وأكثر .

- قال : لم أرد هذا، كم تعد من السن؟

- قال : اثنين وثلاثين : ستة عشر من أعلى، وستة عشر من أسفل .

- قال : لم أرد هذا، كم لك من السنين؟

- قال : والله ليس لي منها شيء، والسنون كلها لله .

- قال : يا هذا! ماسنك؟

- قال : عظم .

- قال : أبني لي : ابن كم أنت؟

- قال : ابن اثنين : رجل وامرأة .

- قال : كم أتى عليك؟

- قال : لو أتى علي شيء قتلني .

- قال : فكيف أقول؟! .

- قال : تقول : كم مضى من عمرك؟^(١٤٤) .

وهذه المحاوره تشترك مع سابقتها في بعض الأسئلة والأجوبة، ويظهر أن التكلف واضح في السؤال الأول، «كم تعد؟». ولعل صانع المحاوره أراد أن يكثر الأسئلة، ليخرج من واحد إلى آخر.

والغرض من هذا النص هو إظهار القدرة على المحاوره، وبيان خطأ السائل في صياغته للسؤال عما يريد، فالمجيب يعرف غرض السائل بدليل أن السائل نفسه يطلب من المجيب أن يرشده إلى صيغة السؤال التي تؤدي غرضه، والإجابات كلها كانت مستندة على صيغة السؤال، وليس مراد السائل وغرضه.

٤ - محاوره الخطيئه للرجل :

ذكر الجاحظ في باب اللغز والجواب في كتابه البيان والتبيين : (كان الخطيئه يرمى غنما - وفي يده عصا - فمر به رجل ، فقال : يراعي الغنم ! ما عندك؟

- فقال : عجاء من سلم - يعني عصاه .

- قال : إني ضيف !!

- قال : للضيفان أعددتها^(١٤)، فسؤال الرجل بقوله : ما عندك؟

كان يقصد به السؤال عن القرى من مأكّل أو مشرب، وربما يعني ما عنده من أخبار، ولكن الخطيئه أجابه بغير ما يترقب، ولهذا تعجب الرجل، فقال : إني ضيف، وكأنه يريد أن يرشده إلى مراده من السؤال، ولكن الخطيئه يصّر على موقفه، ويزيل من ذهن السائل أن الأمر لم يلتبس عليه، فإنه أعد هذه العصا للضيوف.

فالغرض من تلك الإجابات هو التخلص من السائل .

٥ - محاوره الحجاج لرجل من الخوارج .

- قال الحجاج لرجل من الخوارج : أجمعت القرآن؟

- قال : أمتفرقا كان فأجمعه؟

- قال : أتقرؤه ظاهرا؟

- قال : بل أقرؤه وأنا أنظر إليه .

- قال : أفتحفظه؟

- قال : أخشيت فراره فأحفظه . (١٤٦) ، ويلحظ - كما سبق - التكلف في صياغة السؤال الأول، ليكون مسوغاً لإتمام المحاورة، وكذا السؤال الثاني للحجاج، وأما قوله أفتحفظه؟ والإجابة عليه، فدخلها في باب الأسلوب الحكيم ممكن .

والغرض من هذه المحاورة التخلص والجدل .

٦ - محاورة بين رجل وطفل :

- قال رجل لطفل : ابن كم أنت؟

- قال : ابن رجل واحد .

- قال : إنما سألتك عن عمرك!

- قال : فقل كم عمرك؟

.. فقال : له كذلك .

- قال : ثمانية أعوام .

- قال : أحيّة أمك؟

- قال : ما هي بحية ولا بعقرب، ولكنها امرأة .

- قال : فكيف أقول؟

- فقال له : قل أفي الأحياء أمك؟ .

- قال : فقال له كذلك .

- قال له : نعم (١٤٧) فقلوه ما هي بحية ولا بعقرب، إجابة بغير ما طلب السائل،

اعتماداً على كلمة حية التي أراد بها السائل الحياة المقابلة للموت، وقصد المجيب : الزاحفة .

رابعاً : الأمثلة الشعرية :

١ - قال الشاعر (١٤٨) :

جاءني ابني يوماً وكنت أراه لي ريحانة ومصدر أنس
قال ما الروح؟ قلت : إنك روحي قال : ما النفس؟ قلت : إنك نفسي

فهذان السؤالان من الابن . لا يمكن أن يدرك معنى الإجابة عنها، لو كانت مطابقة للسؤال، وخروج الأب في إجابتيه كان موفقا، لأنه أشعر الابن بمنزلته دون أن يضعه في معمة الصراع المعنوي، . فلا يدرك المراد، ودون أن يهمل إجابته، وهذا من إجابة السائل بغير ما يطلب .

ولهذا فيمكن أن يكون الغرض هو التخلص من السؤال لمعرفة الأب عدم إدراك ابنه معنى الجواب، كما يمكن في الوقت نفسه أن يكون توجيهها للابن، لإشعاره بأن معرفته لمنزلته في نفس أبيه، أولى وأهم من سؤاله عن حقيقة الروح أو النفس .
٢ - وقال الشاعر^(١٤٩) .

طلبت منه درهما يوما فأظهر العجب !
وقال : ذا من فضة يصنع لامن الذهب !

وهذا تخلص طريف من طلب درهما، لأن الإجابة كانت عن المادة التي صنع منها، وكان سامع الطلب مارس نوعا من التحوير في السؤال، ليكون عن المادة التي صنع منها، بدلا من طلب الدرهم، لأن هذه الإجابة تحقق غرضا للمسؤول هو التخلص من طلب السائل، وهذا أحد أغراض الأسلوب الحكيم، وهو من تلقى المخاطب بغير ما يترقب، ويمكن - هنا - أن يكون المخاطب سائلا .

٣ - وقال صلاح الدين الصفدي^(١٥٠) :

وصاحب لما أتاه الغني تاه ونفس المرء طمأحه
وقال : هل أبصرت منه يدا تشكرها ؟ قلت : ولا راحه

فاليد التي وردت في السؤال كانت بمعنى المعروف والنعمة، فحولها المجيب إلى معنى اليد الجارحة بقوله : ولا راحه، لأن الراحة تلائم - في أحد معنيها - اليد الجارحة، فكان المجيب ينفي رؤية اليد الجارحة، . والسؤال عما إذا كان تلقى معروفا منه، فهو تلقى للسائل بغير ما يطلب، ومن الطريف في هذا المثال التورية بكلمة «راحة» فلها معنيان : أحدهما باطن الكف، وهذا الذي رشح الجارحة لليد، والثاني الارتياح وهذوء البال، ففي هذا إمعان في إنكار تلقيه للمعروف، أو إبصاره ليده .

وهنا لابد من وقفة مع حال الجواب مع السؤال ، لأن معنى راحة الثاني يجعل الجواب مطابقا ، فكأنه يقول : لم أبصر منه معروفا ، ولم أرتح في معاملته ، وعلى هذا فلا يدخل في الأسلوب الحكيم ، لأنه مطابق ، ولكن المعنى الأول لكلمة راحة ، وهو باطن الكف ، والذي رشحه كلمة يد ، وهو يرشحها أيضا ، جعل الجواب محتملا لصرف المعنى مما يترقبه السائل إلى غير ما يترقبه ، ويكون بذلك داخلا في الأسلوب الحكيم ، وعلى أقل تقدير ، فالجواب زائد على السؤال ، وبهذا يدخل في باب الأسلوب الحكيم .

خامسا : الأمثلة المصنوعة المقيسة :

وبعد هذا التطواف في آفاق أمثلة الأسلوب الحكيم ندرك أن مجاله واسع ، وأمثله يمكن أن يقاس عليها ، ليسهل الاقتداء بهذا القياس في مجال الدرس البلاغي للطلاب ، أو لاستعمال الأسلوب في الخطاب . ومن هذه الأمثلة ما ورد في بعض كتب البلاغيين في عصرنا :

١ - سئل تاجر : كم رأس مالك؟

قال : إني أمين ، وثقة الناس بي عظيمة^(١٠١) .

فذكر هاتين الصفتين ، أولى من تحديد رأس المال ، لأن الصفتين أجلب للربح ، وأدعى للنجاح في التجارة .

٢ - سئل رجل هرم ، كم سنك؟

قال : إني أنعم بالعافية^(١٠٢) .

فكأن المجيب يصرف السائل ، ولسان حاله يقول : ليس المهم هو معرفة كم مضى من عمري ، بل المهم أن تعلم أي أرفل بشباب الصحة والعافية .

٣ - قيل لأحد العمال : ماذا ادخرت من المال؟

قال : لا شيء يعادل الصحة^(١٠٣) .

فلم يجب السائل وفق ما طلب ، وإنما أشار إلى أنه ينعم بصحة لا يعادلها شيء ، وهذا هو الأهم والأولى .

٤ - وقيل لرجل: كم عدد أولادك؟

فقال: أحبهم جميعا، وأعنى بتربيتهم^(١٠٤).

وكان الرجل أراد ألا يفصح عن عدد الأولاد، وصرف السائل بلطف إلى أن ما يحسن به معرفته هو أنه يحبهم جميعا، ويحرص على تربيتهم تربية حسنة.

٥ - وقيل إن امرأة قصت شعر رأسها، لتبدو أصغر سنا مما هي عليه، فقالت لزوجها، كم سنة صغرت؟

فقال لها: صغرت في عيني.

وكانه يفصح عن عدم رضاه عن عملها، فلم يجيبها بتحديد ما يلائم شكلها - بعد قص شعرها - من السنوات، وإنما صرف ذلك إلى أن عملها حط من منزلتها عنده.

٦ - وقد يقول رجل لآخر: كم إيجار منزلك؟

فيجيب: إنه يسعني وعائلتي.

٧ - وقد يسألك أحدهم، كم راتبك الشهري؟

فتقول: أعيش بهناء ورغد.

٨ - وقد يقال لك: بكم اشتريت هذا الكتاب؟

فتقول: هذا كتاب بلاغي نادر.

٩ - وقد لا ترغب في الإفصاح عن المكان الذي أنت فيه، لمن تتكلم معه في

الهاتف، فعندما يقول: من أين تتكلم؟

تقول: من فمي^(١٠٥)!!

سادساً: من أمثلة الأسلوب الحكيم في الرسوم «الكاريكاتيرية».

يكثر استعمال هذا الأسلوب في محاوره شخصيات الرسوم «الكاريكاتيرية»، مما يساعد على إيجاز اللفظ وتحقيق الدعابة.

من ذلك ما كتبه^(١٠٦) الأستاذ عبدالسلام الهليل في محاوره بين شاب تقدم لخطبة

فتاة ووالد الفتاة :

قال الأب : قلت له عندك «عقار»؟

رد الشاب : إن صحته حديد .

قال الأب : عندك أسهم؟ .

قال الشاب : إنه جامعي و «مساهم» في خدمة العلم ! .

قال الأب : عندك رصيد بالبنك؟ .

قال الشاب : نعم ، وبنك الدم يشهد على ذلك؟

إلى آخر المحاوره .

فهذه الأمثلة ونظائرها يمكن أن تسهم في إشاعة هذا النوع من الأسلوب في أوساط المتخاطبين ، أو السائلين والمجيبين ، ليحقق أغراضا بلاغية كثيرة ، منها :

١ - الإجابة بما فيه فائدة المخاطب .

٢ - التأدب .

٣ - الاستعطاف .

٤ - التخلص .

٥ - إظهار القدرة على المحاوره والجدل .

٦ - الطرافة والهزل .

وأختم الحديث عن الأمثلة وبلاغتها وما تحققه من أغراض بقول السكاكي :
(وإن هذا الأسلوب الحكيم ، لربما صادف المقام فحرك من نشاط السامع ما سلبه حكم الوقور ، وأبرزه في معرض المسحور ، وهل ألان شكيمة الحجاج لذلك الخارجي ، وسل سخيمته ، حتى أثر أن يحسن على أن يسيء ، غير أن سحره بهذا الأسلوب . . .)^(١٥٧) .

خاتمة الدراسة

ألقت هذه الدراسة - بفضل من الله - الضوء على هذا النوع البلاغي ، وناقشت كثيرا من الجزئيات لتكشف جذور هذا النوع ، فأكدت على أن للجاحظ فضل السبق في الحديث عن مضمون هذا النوع وإن لم يصرح بالمصطلح الذي عرف به فيما بعد ، وأشرت إلى من أفدت منه ذلك من الباحثين الفضلاء ويمكن القول إن للأسلوب الحكيم من حيث النشأة ثلاث مراحل :

الأولى : مرحلة الحديث عن المفهوم ، وهذه تتمثل في الجاحظ .

الثانية : مرحلة بدء وضع المصطلح ، وهذه تنسب لعبد القاهر الذي ذكره عرضا باسم المغالطة ، وتظل هذه المرحلة ، مع مايعتورها من شك ، مرحلة متوسطة تمثل جزءا من حياة هذا النوع ، وبقدر عمرها الزمني في الفترة التي بين الجاحظ (٢٥٥هـ) وعبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) .

الثالثة : مرحلة استقرار هذا النوع البلاغي ، حيث اكتسب بمصطلح جميل ، وحظي بتعريف يحدد معالمه ، وهذه المرحلة يمثلها السكاكي الذي اقتدى به كثير ممن بعده .

وناقشت هذه الدراسة المصطلحات الأربعة التي أطلقت على هذا النوع في مرحلة نشأته ، وهي : المغالطة والقول بالموجب وأسلوب الحكيم ، والأسلوب الحكيم . وفصل القول في كل واحد منها ، حيث تم تحديد القائلين بكل مصطلح ، والدلالة اللغوية له . والعلاقة بين هذه الدلالة ، والمفهوم الاصطلاحي للنوع ، والمحاذير التي يمكن أن تقع ، إلى غير ذلك من وسائل هذه المصطلحات ، وكانت النتيجة ترجيح المصطلح الأخير .

وتوقفت هذه الدراسة عند تعريف الأسلوب الحكيم ، وسجلت عليه بعض الملحوظات ، ثم استنتجت الدراسة أن هذا النوع يقوم على ثلاث دعائم هي :

١ - المحاور بين اثنين: مخاطب ومخاطب، أو سائل ومجيب.

٢ - العدول على الجواب إلى غيره.

٣ - مراعاة الأولى بحال المخاطب أو السائل.

ثم اقترحت الدراسة صياغة تعريف مستمد مما سبق روعي فيه الاختصار، وانطلقت الدراسة إلى إثارة قضية ذات صلة بالتعريف، لأنها تخص أحد شقي الأسلوب الحكيم، وهي حالة الجواب مع السؤال، ومتى يكون الجواب داخلا في الأسلوب الحكيم في ضوء ذلك؟

وكان من نتيجة طرح هذه القضية اتساع دائرة الأسلوب الحكيم، ولعل هذه الدراسة أول من أثار مثل هذه القضية - فيما يعلم الباحث، كما طرحت أمرا جديدا - أيضا - حول ما يعتد به في معرفة التطابق بين الجواب والسؤال، أيكون المرجع فيه الغرض من السؤال، أم صيغة السؤال نفسه؟ ورجحت الدراسة جعل الصيغة هي الفيصل في ذلك.

وعرضت هذه الدراسة للحديث عن العلاقة بين الأسلوب الحكيم وبعض الأنواع البلاغية، لأن ذلك يسهم في تحديد المفهوم، وتمييز الفروق، وصنفت العلاقة ثلاثة أصناف هي: علاقة تداخل، وعلاقة تشابه، وعلاقة تعاضد.

واهتمت الدراسة ببيان موضع دراسة البلاغيين للأسلوب الحكيم، وأنه درس - عندهم - في ثلاثة مواضع: أولها في موضوعات الخروج على مقتضى الظاهر، وثانيها في علم البديع، وثالثها في باب الاستفهام، وتم تحديد أسماء من درسه في كل موضع، وحجته في ذلك، ثم بيان الرأي فيها جميعا.

وأبدت الدراسة رأيا في أمثلة البلاغيين للأسلوب الحكيم من القرآن الكريم، ورجحت أن الاستشهاد بآيتي الأهله والنفقة فيه نظر، بعد مناقشة مستفيضة، مستندة على النظر في أسباب النزول ومسانيدها، والرجوع إلى أقوال المفسرين والبلاغيين في معنى الآيتين.

وعلى الرغم من أهمية هذا النوع البلاغي، فلم تكن أمثلة قسميه مكافئة

لمنزله، فمجموع ما تكرر في كتب البلاغيين، المتقدمين أربعة أمثلة، منها الآيتان اللتان رجحت الدراسة أن الاستشهاد بهما على هذا النوع فيه نظر.

ولهذا كان لابد من الحديث عن مجالات التعبير بالأسلوب الحكيم ليكشف المساحة الواسعة التي يمكن أن يشغلها هذا النوع، فعددت المجالات، ولم تكتف الدراسة بذلك، بل حشدت مجموعة من الأمثلة المتنوعة لهذا الأسلوب شملت: القرآن الكريم - وإن كان للباحث رأي فيها - والحديث الشريف، والمحاولات النثرية التراثية، وأمثلة من الشعر، ثم أمثلة نثرية مصنوعة مقيسة، لتثبت صحة شيوع هذا النوع، وإمكانية انتشاره واستعماله في الكتاب والخطاب.

القسم الثاني

تحقيق رسالة في بيان الأسلوب الحكيم

لابن كمال باشا ودراستها

أولاً : الدراسة : ابن كمال باشا ومؤلفاته في البلاغة .

هو شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا، كان جده من أمراء الدولة العثمانية، ولد في «أدرنه»، ولم يرد في المصادر تحديد لسنة ولادته، وتوفي في القسطنطينية وهو مفت سنة ٩٤٠هـ، عالم شارك في كثير من العلوم، زادت مصنفاته على مائتي مصنف^(١٥٨) .

مؤلفاته في البلاغة :

لما كانت مؤلفات ابن كمال باشا كثيرة، لا يتسع مقام التعريف به - هنا - لذكر جميعها أثرت أن اقتصر على عرض ماله صلة بموضوع هذا البحث وهو التأليف البلاغي .

أولاً : المؤلفات البلاغية :

١ - تغيير المفتاح، وهو مختصر للمفتاح، بل القسم الثالث، منه فحسب ذكر بروكلمان^(١٥٩) أنه من مختصرات المفتاح، وذكره بعض المترجمين^(١٦٠) للمؤلف .
ويوجد من هذا الكتاب نسختان مخطوطتان في جامعة الملك سعود بالرياض :

أ - نسخة برقم ٥١٠٧ تقع في ٧٥ ورقة، كتبت سنة ٩٨٥م .

ب - ونسخة أخرى برقم ٨٨٩ ص، تقع في ٩٩ لقطه، بخط أحمد بن

حاجي محمد، كتبت في القرن الثالث عشر تقديرا، وهي مصورة عن
العثمانية بحلب رقم ٨٧٦.

ج - وله نسخ أخرى كثيرة في تركيا: في لاله لي برقم ٢٧٨٣، وقليج علي باشا برقم
٨٤٦، وأسعد أفندي برقم ١٤٢ وكتبخانة ولي الدين برقم ٢٧٤٦، وفيض
الله أفندي برقم ١٧٧٣.

- ٢ - شرح تغيير المفتاح^(١١١) وله نسخة في مكتبة لاله لي برقم ٢٨٥٨.
- ٣ - شرح مفتاح العلوم، ذكر ذلك الدكتور محمد حسين أبو الفتوح^(١١٢)، وأشار إلى أن
له نسخة في الأسكوريال، ولم يذكر رقمها.
- ٤ - حواش على «شرح المفتاح للسيد الشريف»^(١١٣).
- ٥ - كتاب في المعاني والبيان^(١١٤) ولعله أحد الكتب السابقة.
- ٦ - المزايا والخواص في الأسلوب البلاغي، حققها الدكتور حامد صادق قنبي^(١١٥)
ويوجد لها ثلاث نسخ مخطوطة في مكتبة جامعة الملك سعود برقم ١٠/٢٥٠٠،
٢٢/٢٥٠١، ٢٩/٢٥٠٢، ونسخة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات
الإسلامية برقم ٩٠٤٧-٢٣.
- ٧ - رسالة في تحقيق معنى النظم والصياغة^(١١٦).
يوجد منها ثلاث نسخ: في مكتبة جامعة الملك سعود اثنتان.
١ - ١٨/٢٥٠١ ٢ - ٢٩/٢٥٠٠.
- والثالثة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم ٢٢/٩٠٤٧.
- ٨ - رسالة في مدار التجوز في الألفاظ^(١١٧).
- ٩ - مشاركة صاحب المعاني اللغوي في البحث عن مفردات الألفاظ، وقد حققها
الدكتور حامد قنبي^(١١٨)، كما صدر له تحقيق آخر للدكتور محمد حسين
أبو الفتوح^(١١٩).
- ١٠ - رسالة في تحقيق المشاكلة، حققها الدكتور ناصر بن سعد الرشيد^(١٢٠)، وذكر أنه
اعتمد على نسخة فريدة، ويوجد بها نسخة في جامعة الملك سعود برقم
٨/٢٥١٥، ونسخة في مركز الملك فيصل برقم ١٧٨-٢١٠.
- ١١ - التوسع في لغة العرب، حققها الدكتور ناصر الرشيد^(١٢١).

- ١٢ - التوسعات، وهي غير السابقة ولها عدد من النسخ في جامعة الملك سعود وأرقامها: ٩/٢٥٠١، ١٢/٢٥٠٢، و٢/٦٤٩ م ص عن الأحمدية بحلب، و٢/٨٧٣ م ص.
- ١٣ - رسالة في الفصاحة، لها نسخة مخطوطة في جامعة الملك سعود برقم ٥٥/٢٥٠٠.
- ١٤ - رسالة في صياغة الكلام، لها نسخة مخطوطة في جامعة الملك سعود برقم ٦/٦٥٢ م.
- ١٥ - رسالة في تقسيم المجاز، لها نسخة في جامعة الملك سعود برقم ف ٢٨/٢٥٠١ وأخرى في مركز الملك فيصل برقم ١٧٨٤٠٠-١٩.
- ١٦ - رسالة في تحقيق التغليب، حققها الدكتور ناصر الرشيد^(١٧٣).
- ١٧ - رسالة في بيان الأسلوب الحكيم، وهذه التي سنها محققة مع هذه الدراسة.

ثانيا : مؤلفات تضمنت دراسات بلاغية :

- ١ - حواش على الكشف^(١٧٣).
- ٢ - حواش على أوائل تفسير البيضاوي^(١٧٤).
- ٣ - تفسير القرآن الكريم^(١٧٥).
- ٤ - رسالة في تحقيق أن القرآن معجز، لها نسخ في جامعة الملك سعود وأرقامها في ١٩/٢٥٠١، ١٩/٢٥٠١، ٣/٣٢٣٠ م ز و٦/٥٦٢ س. ونسخة في مركز الملك فيصل برقم ٥٠٩٠٤٧.

فهذه المؤلفات تكشف عن جهد كبير في التأليف البلاغي يستحق أن يحظى بعناية الباحثين.

تحقيق اسم الرسالة :

صرح ابن كمال باشا في مقدمة هذه الرسالة أنه جعلها في «بيان الأسلوب الحكيم» ولما كانت على شكل رسالة استأنس المفهرسون للمخطوطات - استنادا على ما يدون في مقدمات بعض المجاميع المخطوطة - تسميتها: رسالة في بيان الأسلوب الحكيم.

وهذا العنوان، وإن لم ينص صراحة ابن كمال باشا على جعله اسماً لهذا المخطوط، إلا أنه يعبر بصدق عن مضمونه، كما أنه أفاد من عبارة المؤلف في المقدمة التي تحدد موضوع المخطوط.

توثيق نسبتها إلى ابن كمال باشا :

لم أقف على من يشك في نسبتها إليه، ثم إنها وردت مع رسائل أخرى لابن كمال باشا في مجاميع مخطوطة كل رسائلها لابن كمال، كما أن مصادره في الرسالة تتشابه مع مصادره في رسائله الأخرى، بل إن اختياره لبعض الجزئيات والحديث عنها برسائل يكاد يكون من صفات ابن كمال باشا.

رسالة ابن كمال باشا في الأسلوب الحكيم في ميزان النقد

منهجه في الرسالة :

يفهم من قول المؤلف في مقدمة الرسالة : (فهذه رسالة رتبناها في بيان الأسلوب الحكيم، وتمييزه عن الأساليب المعتبرة عند أرباب البلاغة .) ^(٧٦)، يفهم أنه يهدف إلى ترتيب ما ورد من حديث عن هذا النوع، والتفريق بينه وبين ما يشابه من أساليب بلاغية، وقد وفق المؤلف في تعبيره بكلمة رتبناها، لأن عمله في هذه الرسالة يكاد ينحصر في مسألة الجمع والترتيب، لولا زيادات تحسب له . سأذكرها في ميزان الرسالة .

ويمكن تحديد منهجه في دراسة الأسلوب الحكيم في هذه الرسالة بمايلي :
فبعد بيانه لغرضه من تأليف الرسالة، حدد مفهوم الأسلوب الحكيم ببيان موضوعه، ولم يحرص على تحديد تعريفه سواء بالنقل عن غيره أو بصياغة من عنده، ثم عرض أمثله عند البلاغيين، وحللها، وناقشها، وبين وجه الاعتراض على بعضها، ورد عليه، وبين الغرض البلاغي لأغلب الأمثلة، ولم يقتصر على أمثلة البلاغيين، بل زاد عليها أمثلة أخرى، وبخاصة من الحديث الشريف، وبين انتهاء

كل مثال إلى أحد قسمي الأسلوب الحكيم، بل إنه انتقد السكاكي في تصنيفه للأمثلة، وإن كان لا يسلم له بذلك كما سيأتي.

وقد استغرق عرض أمثلة القسمين وتحليلها معظم الرسالة، وتخلل ذلك بعض الاستطرادات اليسيرة بعضها استطراد بلاغي اقتضاه تحليل الأمثلة، وبعضها استطرادات لغوية لها صلة بالموضوع البلاغي، ولكنها ليست وثيقة.

وفي آخر الرسالة أشار إلى قضيتين مهمتين :

أولاهما : التفريق بين الأسلوب الحكيم، والقول بالموجب، مع العلم أنه لم يصرح بمصطلح القول بالموجب، ولكنه اكتفى بعرض أحد أمثله التي ترشد إليه، وقد بين وجه التشابه ثم أشار إلى ما يميز أحدهما عن الآخر.

ثانيتهما : إشارته إلى انتهاء الأسلوب الحكيم إلى علم المعاني، وأن ذلك هو أحد ما يميزه عن القول بالموجب الذي يعد محسناً بديعاً.

هذه مجمل المادة العلمية في هذه الرسالة، وطريقته في عرضها، وأما ما يتصل بمصادره، فقد أفردتها بحديث خاص، يكشف طريقته في عرض مصادره والإفادة منها، ثم تعدادها.

وبعد هذا البيان المجل، فإني سأذكر ما تشتمل عليه هذه الرسالة من مزايا، ثم أبين ما اعتورها من عيوب.

مزايا الرسالة :

١ - لعل أول ميزة تحتسب للمؤلف هي إفراده الأسلوب الحكيم برسالة خاصة، وبالرغم من أهمية هذا النوع، فلم يحظ بدراسة تتلاءم مع مكانته، وحتى ما قدمه المؤلف في رسالته، وإن كان أحسن حالا مما لدى كثير من البلاغيين، إلا أنه دون مستوى منزلة الأسلوب الحكيم، ولعل هذا هو أهم الأسباب التي دعت الباحث لإعداد هذا البحث.

٢ - عدم اقتصاره على أمثلة البلاغيين لهذا النوع ، وزيادته عليها ، وبخاصة من الأحاديث الشريفة ، ولعله لحظ خلو أمثلة البلاغيين لهذا النوع من الأحاديث ، فآثر تسديد ذلك .

٣ - تحليله للأمثلة ببيان القسم الذي تنتمي إليه ، وتوضيح الأسلوب الحكيم فيها ، وعرضت ما يراه بعض البلاغيين في بعض الأمثلة ، من عدم دخولها في هذا النوع البلاغي ، والرد على ذلك ، ويتضح هذا الأمر في مناقشته لآيتي الأهله ، والنفقة ، وكان يدعم رأيه بأقوال المفسرين والبلاغيين .

٤ - استطراده في تحليل بعض الأمثلة إلى الحديث عن بعض المسائل البلاغية الأخرى ، وذلك مثل قوله : (فإن قلت كان السؤال عن حال الهلال ، لا عن الأهله ، فلم قيل يسألونك عن الأهله)^(١٧٧) ثم أجاب عن ذلك .

ومنه أيضا قوله في تحليله لآية النفقة : (فإن قلت : أليس وصف الكثرة لا بد من اعتباره ؟ . . قلت : نعم ، وقد دل عليه تنوين « خيرا » ، فإنه للتعظيم^(١٧٨) .
ومنه أيضا - وهو تابع لما سبق - (وفي التقييد بقوله : (بالمعروف) نوع تأييد للتذكير المذكور في الدلالة على ما ذكر فتبدرا !)^(١٧٩) .

وهذا يدل على تمكن المؤلف واهتمامه بوحدة النص ، وعدم اجتزاء موضع الشاهد فحسب .

٥ - تفريقه بين الأسلوب الحكيم ، والقول بالموجب ، وقد كان ذلك غرضا له أفصح عنه في بداية الرسالة . ولعله من أوائل من تعرضوا لذلك ، وإن كان المؤلف مقصرا في الاكتفاء بالتفريق بين الأسلوب الحكيم ، والقول بالموجب فحسب ، لأن أنواعا أخرى تتداخل مع هذا النوع ، وقد فصلت القول فيها .

٦ - مناقشة العلماء ، وعدم التسليم بآرائهم ، مما يدل على شخصية مستقلة متمكنة .

٧ - إشارته إلى انتهاء الأسلوب الحكيم إلى علم المعاني .

عيوب الرسالة :

عندما أشرع في تبیان بعض العیوب ، فإنه یتبادر إلى الذهن قول أبي الطیب :
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معايبه
فما رأيت أنه يؤخذ على هذه الرسالة :

١ - عدم وضع تعريف محدد جامع مانع لهذا النوع ، والاكتفاء بتحديد المفهوم العام .

٢ - عند ذكره لبعض العبارات التي تحدد مفهومه تابع البلاغيين في استعمال كلمة «يتطلب» ، وكان يمكنه مناقشتها كما فعل الدسوقي ، وتراه مفصلا في الدراسة التي أعدها الباحث .

٣ - اتهامه للسكاكي في تصنيف أمثلة هذا النوع على قسميه بقوله : (ولا وجه لما فعله صاحب المفتاح من تخصيص الثاني بالثاني .) ^(١٨٠) ، وهو يعني تخصيص السكاكي للبيتين المنسوين لحاتم لتلقي المخاطب ، والآية لإجابة السائل .

والذي أراه أن السكاكي ذكر لكل نوع مثالا ، ولكنه لم يصرح بامتناع صلاحية الآية مثالا للنوع الثاني ، ولذلك يصح جعل إجابة السائل داخلة في تلقي المخاطب ، لأن السائل يمكن أن يكون مخاطبا ، لأن تلقي المخاطب أعم من إجابة السائل من هذا الوجه .

٤ - استطراده في الحديث عن معنى «مواقيت» اللغوي .

٥ - صعوبة فهم مراد المؤلف في بعض المواضع ، بسبب أسلوبه وألفاظه التي يستعملها وبالموقف على نموذج لذلك يتضح هذا الأمر ، فهو يقول : (كما أخطأ في الإسناد - حيث كان المصنف خلوا عن تعيين أن السؤال عن السبب الفاعلي - لم يصب في المسند) ^(١٨١) ، وتكمن الصعوبة في معنى الإسناد والمسند ، ولا سيما أن هذه الرسالة في موضوع بلاغي ، وهاتان الكلمتان هما مصطلحان بلاغيان في علم المعاني ينصرف إليهما ذهن القارئ لأول وهلة .

ومراد المؤلف المعنى اللغوي لهما، فهو يريد بالإسناد: نسبة الرأي، ويعني به نسبة الرأي إلى السكاكي، ويريد بالمسند: الرأي نفسه، وهو سؤال الصحابة. وقد زاد في صعوبة فهم مراد المؤلف طول الجملة المعترضة.

مصادر ابن كمال باشا في رسالته :

أفاد ابن كمال باشا من مجموعة من المصادر، وكان يصرح بذكر مجموعة منها، وتختلف طريقته في الإشارة إلى مصدره :

١ - فقد يسمى الكتاب ومؤلفه : كما فعل عند نقله عن الراغب الأصفهاني، فقد قال : (قال الإمام الراغب في تفسيره)^(١٨٦)، أو كما نقل عند نقله عن الجوهري، إذ قال : (ذكرهما الجوهري . . حيث قال في الصحاح)^(١٨٧).

٢ - وقد يكتفي باسم الكتاب مشفوعاً بكلمة صاحب حيث قال في مواضع كثيرة : (صاحب الكشف)^(١٨٨)، و(صاحب المفتاح)^(١٨٩)، والأمر يسير في مثل هذين الكتابين لشهرتهما، وعدم خفاء اسمي مؤلفيهما، وقد يبدو الأمر مشكلاً عندما تكون الإحالة محتملة لأكثر من كتاب، عندما يقول مثلاً : (من قال في شرح المفتاح)^(١٩٠)، لأن شراح المفتاح كثيرون، وقد يصعب تحديد المقصود منهم.

وقد لاحظت على المؤلف أنه عندما يريد نقد الرأي أو الرد عليه، فإنه لا يصرح باسم المؤلف، بل يكتفي بقوله صاحب كتاب كذا، ومن ذلك قوله : (فلا وجه لما فعله صاحب المفتاح)^(١٩١)، وقوله : وقوله : (كما توهمه صاحب المفتاح)^(١٩٢).

وقوله : (فما سبق إلى فهم صاحب المفتاح من وهم التعدي من تعدي الوهم)^(١٩٣)، وقوله : (ومن هنا تبين أن من قال في شرح المفتاح . . كما أخطأ في الإسناد . . لم يصب في المسند)^(١٩٤) وفي مقابل ذلك، لا نرى نقداً أو تضعيفاً لآراء من يصرح بأسمائهم.

٣ - وقد يكتفي باسم المؤلف دون أن يحدد اسم كتابه أو المصدر الذي أخذ عنه، ومن ذلك نقله لرأي الأصمعي في تسمية الهلال^(١٩٥)، ومنه قوله : (وبه أخذ القاشاني رحمه الله)^(١٩٦).

٤ - وقد يذكر لقباً للمؤلف ويكتفي به مع أن هذا اللقب يشترك فيه مع من يعنيه ابن كمال باشا عدد من المؤلفين مما يؤدي إلى صعوبة معرفته، مثل قوله: (وبه أخذ القاضي)^(١٩٣)، وقد استطعت معرفة من يعني بالقاضي، فإنه يعني به القاضي البيضاوي، كما سنراه في التحقيق.

٥ - وقد تكون إشارته إلى مصدره معينة على تحديد فئة معينة من المؤلفين، وبقي تحديد المقصود من هؤلاء فيه شيء من الصعوبة، وذلك مثل قوله: (من قال في شرح المفتاح)^(١٩٤)، وكما نعرف أن شروح المفتاح كثيرة، وقد يسر الله معرفة المعنى وأنه السيد الشريف الجرجاني، وكانت إحدى النسخ المخطوطة معينة على معرفة ذلك، لأن ناسخها أو مالکها أشار إلى أنه السيد الشريف، فلما رجعت لكتاب السيد الشريف اتضح لي صحة ذلك.

ومن هذا المنهج يمكن الاستشهاد بقوله (. . . أن من قال في تفسير الآية المذكورة . . .)^(١٩٥)، فهذا يحدد فئة المفسرين، ويحتاج الأمر إلى بحث وتقص حتى يعرف المقصود، وقد تبين لي أن من يعنيه بهذه الإحالة، الراغب الأصفهاني، والقاضي البيضاوي.

٦ - وقد ينقل عن بعض المصادر دون أن يشير تصريحاً أو تلميحاً إلى أنه ينقل ذلك، ومن ذلك ما نقله^(١٩٦) عن الزنجشيري في سبب نزول آية الأهله، وكذلك نقله^(١٩٧) لضبط كلمة يصفد عن السكاكي أو القزويني، وكذلك نقله^(١٩٨) عن أبي حيان أو الزنجشيري لشاهد شعري عن عدم الاعتداد بالنفقة إلا أن تقع موقعها. وبعد هذا البيان عن طريقة المؤلف في بيان مصادره، فهذا عرض لتلك المصادر مرتبة بحسب الزمن:

١ - الأصمعي (٢١٦هـ): صرح بعزو رأيه إليه في تسمية الهلال، ولم يذكر اسم الكتاب الذي نقل هذا الرأي عنه، ولعله أخذ ذلك عن طريق أحد المصادر الوسيطة، فأراء الأصمعي مبثوثة في الكتب، ويتناقلها الرواة والعلماء، ومع ذلك فلا يستبعد أن يكون هذا الرأي موجوداً في كتاب الأصمعي عن الأبناء، كما أشرت إلى ذلك في التحقيق^(١٩٩).

٢ - الجوهرى (٣٩٣هـ): نص المؤلف على النقل منه، وذاكراً اسم كتابه «الصحيح» وقد وثقت ذلك في موقعه من التحقيق^(٢٠٠).

٣ - الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)، صرح المؤلف بالنقل عن الراغب في تفسيره، وقد خرجت^(٢٠١) رأيه من كتابه (المفردات في غريب القرآن)، لأن كتابه في التفسير لم يكمله، ولم أقف إلا على مقدمته المطبوعة، وليس فيها النص المنقول.

٤ - الزمخشري (٥٣٨هـ) صرح بالنقل عنه في موضعين^(٢٠٢)، وكانت عبارته في النقل عنه: (قال صاحب الكشاف)، (ومختار صاحب الكشاف)، ويظهر لي أنه أفاد في مواضع أخرى غير التي صرح بها، ولا يستغرب اعتياده على الكشاف، فقد كانت له به عناية خاصة. إذ ذكر المترجمون له، أن له^(٢٠٣) حواشي على الكشاف.

٥ - السكاكي (٦٢٦هـ)، يعد السكاكي أهم مصدر له في هذه الرسالة، إذ صرح بالنقل عنه والإحالة عليه أربع مرات^(٢٠٤)، كما نقل عنه دون أن يشير إليه في بعض^(٢٠٥) المواضع، ويمكن عزو السبب في ذلك إلى أمرين:

أولهما: أن موضوع هذه الرسالة هو الأسلوب الحكيم، وهذا النوع البلاغي مما يحسب للسكاكي فضل ذكره وتسميته، فدراسته له أصبحت مصدراً مهماً لمن جاء بعده.

ثانيهما: علاقة ابن كمال باشا بالسكاكي ومفتاحه، فقد اختصر المفتاح بكتاب سماه «تغيير المفتاح»، ثم شرح هذا المختصر، وسماه: «شرح تغيير المفتاح»^(٢٠٦).

٦ - القاضي البيضاوي (٦٨٥هـ): رجحت أنه أفاد من القاضي البيضاوي في موضعين^(٢٠٧)، ففي الموضع الأول لم يصرح باسمه، وإنما جعله ضمن مجموعة المفسرين، إذ قال: (. . من قال في تفسير الآية المذكورة. .)، وقد قال البيضاوي مع غيره ذلك، وأما الموضع الثاني، فقد ذكره بلقبه الذي اشتهر به، حيث قال: (وبه أخذ القاضي)، وقد وثقت هذا الأخذ في موضعه.

٧ - القاشاني (بعد ٧٣٠هـ)، أحال عليه مرة واحدة بقوله : (وبه أخذ القاشاني رحمه الله)^(١٨)، ولم أقف على تفسير القاشاني حتى أحيل على موضع الإحالة، ولكنني عرفت أن القاشاني هذا من مصادر القاسمي في تفسيره المشهور.

٨ - القزويني (٧٣٩هـ) : لم أستطع الجزم بنقل ابن كمال باشا عن القزويني، لأنه لم يصرح بتسميته، والموضع^(١٩) الذي أرى أنه يحتمل أنه نقل فيه عن القزويني، نص اشترك القزويني في ذكره مع السكاكي، فاحتمال نقله من أحدهما وارد، أو نقله ممن نقل ذلك عنهما، ولهذا لم استطع الجزم بإفادته من القزويني.

٩ - السيد الشريف الجرجاني (٨١٦هـ) : لم ينص على ذكر اسمه، بل قال : (. . أن من قال في شرح المفتاح . .)^(٢٠)، وقد وجدت تعليقا في إحدى النسخ المخطوطة، وهي النسخة التي اتخذتها أصلا، لأنها نقلت عن نسخة المؤلف، وجدت تعليقا عند تلك العبارة يفيد أن المعني هو السيد الشريف الجرجاني، وقد تحققت من ذلك بتوثيق الإحالة من شرحه للمفتاح، ويحتمل أن يكون المقصود شرحا آخر، ولكن السيد الشريف قال ما نسبته ابن كمال باشا إلى شارح المفتاح.

نسخ المخطوط :

لهذا المخطوط عدد من النسخ، تيسر بحمد الله، ثم بتعاون الإخوة الأفاضل من قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود بالرياض، تيسر تصوير معظمها، والوقوف على ماتعذر تصويره، كما تفضل أخي وزميلي الدكتور عبدالعزيز بن إبراهيم العمري بتصوير نسخة من هذه الرسالة من المجموع الذي آل إليه عن طريق الشراء من تركيا. وبلغ مجموع النسخ التي أفدت منها ثمانين نسخة، إضافة إلى النسخة المطبوعة، وهذا وصف لتلك النسخ.

الأولى : وهي النسخة ذات الرقم ف ٢٣/٢٥٠١ في قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود بالرياض، وتقع في خمس صفحات، في كل صفحة ثلاثة وعشرون سطرا، يشتمل كل سطر على عدد يتراوح بين ثمانين عشرة كلمة، وإحدى وعشرين كلمة. وقد اتخذتها أصلا، للأسباب الآتية :

١ - أنها منقولة عن نسخة منقولة عن نسخة المؤلف، كما ذكر ذلك ناسخها حيث قال في آخرها: (تمت كتابتها من النسخة التي كتبت من نسخة المصنف، وقوبلت بها في سنة ٩٨٤)، ولهذا فمصدر هذه النسخة هي نسخة المؤلف.

٢ - أن هذه النسخة مقابلة على الأصل ومصححة، كما بدأ ذلك من تصريح الناسخ آنفاً، ومن تصويب بعض الكلمات، وإضافة بعضها، كما هو واضح في جوانب صفحاتها.

٣ - يوجد في هذه النسخة ما سقط من أغلب النسخ، وهو قرابة سبعة أسطر، ولا غرابة في انفرادها به دون النسخ، لأنها منقولة عن نسخة المؤلف، وأما بقية النسخ، فلم أجد أي تصريح بانتهاؤها لنسخة المؤلف.

٤ - من حيث تاريخ النسخ تتميز هذه النسخة مع نسخة حلب بأنها أقدم النسخ، حيث كان تاريخ نسخ ما اتخذتها أصلاً سنة ٩٨٤هـ، وأما نسخة حلب فقد نسخت سنة ٩٧٦هـ، وبالرغم من تقدم نسخة حلب من حيث الزمن، إلا أنني رجحت عليها النسخة الأخرى لأمر منها:

أ - وجود السقط في الحلية.

ب - كون الأخرى منقولة عن نسخة المؤلف.

ج - ماسيرد في السبب الخامس.

٥ - ظهر لي أن الذي كتب النسخة «الأصل» وقابلها طالب علم متمكن دل على ذلك بعض تعليقاته التي ظهر منها معرفته بعلماء التفسير والبلاغة فمثلاً:

أ - عند قول المؤلف: «تبين أن من قال في تفسير الآية المذكورة: والمواقيت جمع ميقات. .» كتب في الحاشية: «قاله الراغب وقلده البيضاوي».

ب - وعند قول المؤلف: «ومن هنا تبين أن من قال في شرح المفتاح» كتب: «السيد» يعني السيد الشريف الجرجاني.

ج - وعند قول المؤلف: «ومن قال: أسألوا عن بيان ما ينفقون»، كتب: «سعد الدين من المطول». وقد أفدت من هذه التعليقات الثلاثة في تخريج تلك

الأقوال وعزوها، . ولم أقتصر عليها، كما سنراه إن شاء الله في التحقيق . ورمزت إليها بالحرف «أ» .

الثانية : وهي النسخة الحلبية، ومنها نسخة مصورة على ورق في قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود بالرياض برقم ٦٢٥/٠ م ص، وتقع في أربع صفحات في المجموع من ٤٤-٤٧، وفي كل صفحة واحد وثلاثون سطرا، ومسطرتها (١٧×٥، ٢٤سم)، وهي نسخة مصورة عن (الأحمدية بحلب - ١١٣) .

وكتبت هذه النسخة سنة ٩٧٦هـ، وهي من حيث الزمن أقدم نسخة بين يدي، ولكنني رجحت عليها النسخة الأولى، لما ذكرته آنفا، ولأن فيها سقطا، كما أنها لم تقابل على نسخة المؤلف أو تنقل عنها.

وقد أفدت منها في المقابلة، ولكنني لم أستطع تصويرها، لأنها مصورة على ورق، وقد رمزت إليها بالحرف ح .

الثالثة : وهي النسخة المصرية، ومنها نسخة مصورة في قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود بالرياض برقم ١٧٤/١٢ وهي مصورة عن (دار الكتب المصرية - ١٠٦ مجاميع) وتقع في أربع لقطات، وفي الصفحة واحد وعشرون سطرا. ورمزت إليها بالحرف ص .

الرابعة : وهي نسخة فيينا، ومنها نسخة مصورة في جامعة الملك سعود بالرياض برقم ٥٦٢/ص، مصورة عن (المكتبة الوطنية بفيينا)، وتقع في ثمان لقطات ضمن مجموع من ١٣٥ ب إلى ١٤٢ أ، وفي كل صفحة منها خمسة عشر سطرا، وهي بخط الشيخ حمد بن الشيخ عبد الباقي سنة ١٠٠٥هـ، وقد رمزت إليها بالحرف ف .

الخامسة : وهي النسخة ذات الرقم ٢٥٢٥/٩م في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، وتقع في أربع عشرة صفحة، في كل صفحة خمسة عشر سطرا، ومسطرتها (١٥×١٠سم)، وهي في مجموع من (٧٦-٨٩)، وذكر في بطاقة فهرستها أن نسخها في القرن الثالث عشر تقديرا، وقد رمزت إليها بالحرف س .

السادسة : وهي النسخة التي صورتها من المجموع الذي اشتراه الزميل الدكتور عبدالعزيز بن إبراهيم العمري من تركيا، وهو يشتمل على عدد من رسائل ابن كمال باشا، هي الرسالة الأولى، وتقع في ست صفحات، في كل صفحة خمسة وعشرون سطرا، ماعدا الصفحة الأولى والأخيرة.

ويظهر لي أنها منقولة عن النسخة الأولى لتشابهها معها، وقد رمزت إليها بالحرف ع.

السابعة والثامنة : نسختان مصورتان بجامعة الملك سعود برقم ١٦/٢٥٠٠ ورقم ٣٢/٢٥٠٢، وقد اطلعت عليهما، ولم أجد فيهما ما يميزهما، ولذلك لم أحل عليهما.

أما النسخة المطبوعة فهي في الجزء الأول من رسائل ابن كمال باشا الذي نشره أحمد جودت، وطبع في مطبعة (اقدام) بدار الخلافة العلية سنة ١٣١٦هـ).

وهذه النسخة فيها سقط كبير، ويبدو لي أنها اعتمدت على النسخة الرابعة التي رمزت لها بالحرف ف، إنها تشترك معها في كثير تختلف فيه مع بقية النسخ فمثلا اتفق المطبوع مع نسخة ف في «العلي الحكيم» وكذلك في «زرقته»، كما سنراه إن شاء الله في حواشي التحقيق.

وربما يكون المطبوع ونسخة ف معتمدين على أصل واحد. وقد رمزت للمطبوع بالحرف ط.

منهج التحقيق :

حرصت على إخراج النص محررا ميسرا، فأثبت في المتن ما رأيت أنه مراد المؤلف، فإذا كان غير موجود في الأصل أشرت إلى ذلك بوضعه بين معقوفتين تنبيهها على أنه لم يرد في الأصل كما هو مدون، ماعدا الموضع الذي يتميز به الأصل عن بقية النسخ فقد وضعته بين معقوفتين تنويها به، وتنبيهها إليه. وقد حرصت على خدمة النص من خلال :

١ - عزو الآيات.

٢ - تخريج الأحاديث.

- ٣ - نسبة الأقوال وتوثيقها .
- ٤ - تخريج النصوص والإحالة على مصادرها .
- ٥ - تخريج ما ورد من أبيات .
- ٦ - توضيح ما يحتاج إلى توضيح في نص المؤلف .
- ٧ - الترجمة الموجزة للأعلام .
- ٨ - كتابة النص وفقا للقواعد الإملائية المعاصرة، والحرص على علامات الترقيم .
- ٩ - حددت موضع نهاية كل ورقة في الأصل وبداية التي تليها، وفقا للترقيم المدون على الأصل مع مجموعة .

نماذج المخطوطات

[illegible]

أخبرته عن ذلك، فاستدعى علي رسول الكرم وعمل الرجل به، وأما العواظ المستنعم
فمن رسل الزمان، فإن السوء العظمى فيهم، والاساس للعصاة عند رباب
البناء، فربما لا تخلو من أحد الكافرين، لو علمت حكمهم حقاً في أعدائهم، لكان
من وجوب دحانهم، فربما يفتنهم، بالفسام، ويصد عن صفته، فربما إذا أنزلناهم، ربما كان

[illegible]

اللوحة الأولى من الأصل
ذات الرقم ٢٣/٥٥٠١

۱. نیاز ①

عبد الله بن راقه

حمل لفظ وقع في كلام المخاطب على خلاف مراده من الكلام التي تحتها
ذلك اللفظ كما اخبر عنه الشاعر بقول

قال قلت اذا انت مرارا قلت كاهلي الا يادي

وذلك انه اراد بلفظ قلت معنى جئتك المؤنه والارام بانه تيان من بعد
اخرى وقد حمل على استقبال غايته بالمتن والنعيم وبه فلت تولت
قال ذبل نحوك وارمت قال جيل ودادي وهو ايضا من قبيل
ما تقدم حيث اراد بلفظ ارميت معنى املتت وقد حمل على معنى اللمة
قول لم طولت اي طولت الا قامه والاه تيان والتطول التقصير والاختصار
اما اشتباه ما ذكره بالاسلوب الحكيم فلان لا فرق بينه وبين حمل
القبيل في لفظي الادب والمهر في المذكورين في كلام للمحتاج على خلاف
مراده واما انه ليس منه فلفظ ما هو المعتمد في الاسلوب الحكيم
من تلقى المخاطب بغير ما يترقب فان الصادق لفظ قلنا عن مراده
القبيل لم يصرفه الى معنى لا يترقب بل صرفه الى معنى يترقب وانما
ذلك المقام كما لا يخفى على ذوي الافهام ولذلك اي ولقد خرج
الكلام بالجل المذكور عن مقتضى ظاهر الحال لم يعد مثل ذلك الحمل
من لطايف المعاني كما عدا في الاسلوب

الوجه الثاني في حمل لفظ وقع على خلاف مراده من الكلام التي تحتها

الوجه الثالث

الوجه الرابع

الحكيم بل عدس المحسنات البديعة

ولله الموقر وكرم وغفر لهما
ولقاربا ولولن ولوالدهم
ولساجدها ومن فراد دعا
لهم ولوالدهم بالرحمة

واسم



الناظر 3

اذا لم يثبت بعد ان مانع العلة عنه حتى يلزم من
 تحته ان ليس مع المانع حال كونها في مرتبة للعدم
 مسبقه بالذات على الايس فان قلت كالوحيث
 بعد ان مانع العلة عنه لم يثبت ايضا ان ما بالذات
 مقدم بالذات على ما بالغير قلت ليس كذلك في
 شيوه بل في قيام الحاجة اليه في هذا المقام والوحي
 عندى في بيان تقدم اللبس على الايس بالذات
 هو ان يقال ان صريح العقل كما كان الممكن انما
 استفاد الوجود من الغير لان الله ليس بوجد
 في حد ذاته ان لو كان له وجود في حد ذاته لكان
 ان يستفيد الوجود من غيره والايمان لا يحصل
 الحاصل فالوجود المستفاد من الغير معلى بالا
 الحاصل في حد ذاته ثبت ان اللبس سابق على
 الايس بالذات

لانه لا يمكن ان يكون
 لعل الله وحده بما له العلم والسطوة على سائر الكون
 وعلى الله وحده بما له العلم والسطوة على سائر الكون
 فلهذا يقال ان ما بالذات في بيان اسباب الحكم في عين
 عن الاسباب المتعبر عنها بالاسباب في الوجود والحق
 البراهمة فتقول ان الله المتوفى اسما وليس
 مرجع الى العدد في الجواب عن وجه الخطاب
 كذا في شريعة تنقسم الى اقسام او كذا في لطيفة
 برتبة ما لا لا اقسام سواء كان ذلك العدد واحد
 بصرفه الكلام عن مراد الكلام ان معنى آخر من هذا ايضا
 كما وقع في بيان القبح في النجاس او بدونه كما وقع
 في بيان الساتين عن حال الهلاك تفصيل القابل
 الا ان كان النجاس قال القبح في نفسه وبغيره لا يبر
 حمل على الادب اعلى من الذي استندت عليه

في بيان ان
 في بيان ان

حتى ذهب الى ان الذي فيه من الابهة هو ان السواد
 والاشبه بالابيض الذي غلب عليه من السواد
 من السببه والابيض الذي غلب على السواد
 فابرز غلبه في معنى الوجود وراه بالظن ومعه
 ان من كان على صفة في السلطان وبسطة اليد
 فجدوا ان يصعد في النجاس ان المراد بالادب
 هو الحد في حال القبح ثم ان يكون الحد بل اخير
 من ان يكون بليد افسه في الحد من مراده وفي
 الموضع عدل في الجواب عن وجه الخطاب
 وقصده ان يفتقر الى انما الثاني ان معاذين بل
 وتعليق من غم قال لا رسول الله ما بالاحلال
 فيبدو وقفا مثل الخط في قوله يدحرج على ويسوء
 في لا يزل ينقص حتى يكون كذا ولا يكون على
 حالة واحدة فنزلت ويسئلون عن الابهة
 فزاور ولقيت للناس والنجس الا انه مع هلال

وهو ان كان لليلة اولين وتقول هو هلال الثلث
 ليس هو هلال آخر فتعريف سواء الليل وذلك
 لا يكون الا في الليلة السابعة والاربعين حتى
 فلا لا حتى يحد بحد ان يستدبر خطه وبقية
 رأينا حتى لان الناس من يعرفون اصحابهم عند رؤيته
 وبه اهل النجاس اذا رجع الصوت بالليلية ومنه
 استدل بالهسي والواقيت جميع حقيقتا و
 ما روت به النبي كان القدر ما يقدر به النبي
 وقد شاع في معنى العلم ولذلك قال صاحب الكشاف
 في تفسير ما ما روت عالم وقال في موضع آخر
 واليهات ما روت به النبي اى من ومنه ما روت
 الاحرام وهي الحدود التي لا يجاوزها من يريد
 ملكة الاعراب التي لا يرامه ولا يذهب عاين
 ان الذي المذكور لليليات ينظر العين الذين
 ذكرها الجمهور حيث قال في الصحاح والليقات

اللوحان الاول والثاني من نسخة "ف"
 ذات الرقم ٥٦٢/٦ ص

القسم الثاني ثانياً: التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم^(٢١١)

الحمد لله العليم^(٢١٢) الحكيم^(٢١٣)، والصلاة على رسوله الكريم، وعلى آله وصحبه هداة الصراط المستقيم.

فهذه رسالة رتبناها^(٢١٤) في بيان الأسلوب الحكيم، وتمييزه عن الأساليب المعتمدة عند أرباب البلاغة وأصحاب البراعة، فنقول ومن الله التوفيق:

الأسلوب الحكيم مرجعه^(٢١٥) إلى العدول في الجواب عن موجب الخطاب، لحكمة شريفة يقتضيها المقام، أو نكتة لطيفة يرتضيها ذوو الأفهام، سواء كان ١٢١/أ ١٢١ ب ذلك العدول لصرف الكلام عن مراد المتكلم إلى معنى آخر يحتمله أيضاً^(٢١٦)، كما وقع في جواب القبعثري^(٢١٧)، للحجاج^(٢١٨)، أو بدونه كما وقع في جواب السائلين^(٢١٩) عن حال الهلال.

تفصيل المثال الأول: أن الحجاج قال للقبعثري متوعداً له بالقيد: لأحملنك على الأدهم^(٢٢٠)، وقال القبعثري في جوابه: مثل^(٢٢١) الأمير [يحمل]^(٢٢٢) على الأدهم = أي على الفرس الذي اشتدت [زرقته]^(٢٢٣) حتى ذهب البياض الذي فيه من الدهمة، وهي السواد = والأشهب^(٢٢٤): أي الذي غلب بياضه على سواده من الشبهة، وهي البياض الذي غلب السواد.

فأبرز^(٢٢٥) وعيده^(٢٢٦) في معرض الوعد، وأراه^(٢٢٧) باللفظ وجه أن من كان على صفته في السلطان، وبسط اليد فجدير أن يُصَفَد^(٢٢٨)، لا أن يصَفَد^(٢٢٩)، ثم قال الحجاج إن^(٢٣٠) المراد بالأدهم هو الحديد، فقال القبعثري: لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً، فصرف الحديد - أيضاً - عن مراده^(٢٣١).

وفي الموضوعين عدل في الجواب عن موجب الخطاب ومقتضاه .
وتفصيل المثال الثاني : أن معاذ بن جبل^(٢٣٢) وثعلبة^(٢٣٣) بن [عنمة]^(٢٣٤)، قالوا يا رسول الله ، ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ، ثم يزيد حتى يمتلي ، ويستوي ، ثم لا يزال ينقص حتى يكون كما بدا ، ولا يكون على حالة واحدة فنزلت^(٢٣٥) : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۚ ﴾^(٢٣٦) الأهلة : جمع هلال ، وهو إذا كان لليلة أو ليلتين ، وقيل^(٢٣٧) هو الهلال إلى [ثلاث]^(٢٣٨) ثم يسمى قمراً ، وقيل^(٢٣٩) يسمى هلالاً حتى يبهر ضوءه سواد الليل ، وذلك لا يكون إلا في الليلة السابعة ، وقال الأصمعي^(٢٤٠) : يسمى هلالاً حتى يحجر ، وتحجيره : أن يستدير بخط دقيق^(٢٤١) ، وإنما سمي به لأن الناس يرفعون أصواتهم عند رؤيته ، ومنه أهل بالحج : إذا رفع الصوت بالتلبية ، ومنه استهلال الصبي .

والمواقيت : جمع ميقات ، وهو ما يوقت به الشيء ، كما أن المقدار ما يقدر به الشيء ، وقد شاع في معنى المعلم ، ولذلك قال صاحب^(٢٤٢) الكشف - رحمه الله - في تفسيرها : «مواقيت : معالم^(٢٤٣)» ، وقال في موضع آخر^(٢٤٤) : «والميقات ما وقت به الشيء أي حد ، ومنه مواقيت الإحرام ، وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة إلا محرماً» انتهى كلامه^(٢٤٥) .

ولا يذهب عليك أن المعنى المذكور للميقات ينتظم المعنيين الذين ذكرهما الجوهري^(٢٤٦) ، حيث قال في الصحاح : «الوقت المضروب للفعل ، والموضع^(٢٤٧) بطريق الاشتراك المعنوي^(٢٤٨) ، لا بطريق الاشتراك اللفظي^(٢٤٩) المفهوم من قول الجوهري .

وبما قرناه تبين أن من^(٢٥٠) قال في تفسير الآية المذكورة . والمواقيت جمع ميقات - من الوقت - لم يصب^(٢٥١) .

وأراد بقوله : (للناس . .) ما يتعلق به من أمور المعاملات ، ومصالحهم ، وبـ (. . الحج . .) ما يتعلق به من فرائض العبادات ، ولكن خص بالذكر أعظمها أثراً ، فإن الحج يراعي في أدائه وقضائه الوقت ١٢٢ / ١٢١ ب المعلوم ، بخلاف سائر العبادات التي لا يعتبر في قضائها وقت معين^(٢٥٢) .

كان السؤال عن السبب العادي في اختلاف القمر: زيادة النور ونقصانه، واجب ببيان الحكمة في هذا الاختلاف، للتنبيه على أن المناسب لحال السائل أن يسأل عن ذلك، لا عن السبب العادي، إنه ليس مما يطلع عليه بسهولة، لابتناؤه على معرفة مسائل من دقائق علم الهيئة^(٢٥٣).

وإنما قلنا كان السؤال عن السبب العادي، لأن السائل من كبار الصحابة وعلمائهم، فلا [يناسبهم]^(٢٥٤) القول^(٢٥٥) بتأثير غير الله في الكائنات.

ومن هنا تبين أن من^(٢٥٦) قال في شرح المفتاح إن المصنف^(٢٥٧) رحمه الله حمله على أنهم سألوا عن السبب الفاعل لتشكلات النورية في الهلال، كما أخطأ^(٢٥٨) في الإسناد - حيث كان كلام^(٢٥٩) المصنف خلواً عن تعيين أن السؤال عن السبب الفاعلي - لم يصب^(٢٦٠) في المسند.

فإن قلت: كان السؤال عن حال الهلال، لا عن الأهلة، فلم قيل «يسألونك عن الأهلة»؟

قلت: لما كان السؤال عن الأحوال المختلفة، لا عن الأحوال المستمرة، وكان يطلق عليه اسم الهلال عند كل حال من تلك الأحوال: حقيقة أو مجازاً، باعتبار ماكان، أو يؤول إليه جيء بلفظ الجمع تنبيهاً على ذلك، أي على أن السؤال كان عن الأحوال المختلفة، لا عن حالة مستمرة، ثم إن تفسير الآية المذكورة على وجه يكون من قبيل الأسلوب الحكيم، على اختيار صاحب^(٢٦١) المفتاح، وبه أخذ القاشاني^(٢٦٢) رحمه الله تعالى، حيث قال^(٢٦٣) في تفسير قوله «قل هي موافيت»: جواب لحمل السؤال على خلاف الظاهر، وهو باب من أبواب علم المعاني معتبر، وموعظة فيها تذكّر، ومختار صاحب الكشف^(٢٦٤)، وبه أخذ القاضي^(٢٦٥) رحمه الله، أن^(٢٦٦) السؤال عن الحكمة من نقصان الأهلة وتماها، فعلى هذا لاعدول في الجواب عن الظاهر، ولا يكون من الأسلوب الحكيم المذكور، والمتبادر من قول السائل: ما بال الهلال؟، إنما هو الأول^(٢٦٧)، فتأمل ولا يذهب عليك أن في كل واحد من المثالين^(٢٦٨) تلقي المخاطب بغير ما يترقب.

وفي الثاني منها خاصة تلقي السائل بغير ما يتطلب فلا وجه لما فعله^(٢٧٩) صاحب المفتاح من تخصيص الثاني بالثاني حيث قال: وهو- يعني الأسلوب الحكيم - تلقي المخاطب بغير ما يترقب كما قال^(٢٨٠).

أنت تشتكي عندي مزاوله القرى وقد رأيت الضيفان يغشون منزلي
فقلت كأني ما سمعت كلامها: هم الضيف جدي في قراهم وعجلي
أو السائل بغير ما يتطلب، كما قال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ
وَالْحَجِّ﴾^(٢٨١).

[ومن قبيل الثاني ما روى البخاري^(٢٨٢) في صحيحه^(٢٨٣) بإسناده إلى سالم^(٢٨٤) عن
عبدالله^(٢٨٥) سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يلبس المحرم من الثياب؟ قال:
لا يلبس القميص ولا السراويلات ولا البرنس، ولا ثوبا مسه زعفران، ولا ورس.].

فإن السؤال كان عما يجوز لبسه للمحرم، وفي الجواب عنه بتعديده ١٢٢/أ ٢٢ أب
زيادة إطناب ليس فيه كثير فائدة فعدل في الجواب إلى بيان ما لا يجوز لبسه له، وهو
أشياء معدودة، فعلم منه ما يجوز لبسه له على وجه إجمال يغني عن التفصيل، ويربو
عليه، لأنه يفيد بطريق البرهان، فهو من الإيجاز البليغ.

ومنه أيضا ما في حديث أبي ذر^(٢٨٦) رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله! ما آنية
الحوض؟، قال: والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء^(٢٨٧).
فإن سؤاله رضي الله عنه كان عن ماهية الآنية، ولا فائدة في علمها، وإنها الفائدة
في علم كثرتها، إذ بها يندفع محذور المزاحمة، فأجيب ببيانها^(٢٨٨).

ومن أمثلة قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الدِّينُ
رَاقِبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾^(٢٨٩)، وذلك أنهم سألوا عن المنفق،
فأجبوا ببيان المصارف، ومن قال^(٢٩٠): سألوا عن بيان ما ينفقون، لم يصب، لأن
المسؤول عنه نفس المنفق، لا بيانه، نعم هو أيضا يصلح متعلقا للسؤال، لكن السؤال
بمعنى الالتباس، وهو يتعدى بنفسه، لا بعن.

ونكتة العدول في الجواب عن موجب السؤال التنبيه على أن الأهم للسائل من بيان النفقة والمصرف بيان المصرف، فكان حقه أن يسأل عنه لاعنها.

إذ النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها كما قال الشاعر^(٢٨١).

إن الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع

وأقول: المراد من الخير: المال الحلال، ففيه إشارة إلى أن الحرام لا يصلح للإنفاق، ولا يترتب عليه الثواب، بل يترتب العقاب، وإن كان فيه منفعة للغير المستحق للإنفاق.

قال الإمام الراغب^(٢٨٢) في تفسيره: (وقوله: (من خير): أي من مال، فسمى المال خيرا ههنا تنبيهاً على أن الذي يجوز إنفاقه هو المال الذي يتناوله الخير)^(٢٨٣)، كما قال: (إن ترك خيراً: يعني في آية الوصية، وهي قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا أَحْضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتَ أَنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٢٨٤) من فسر الخير هذا بالمال مطلقاً، أو بالمال الكثير، فقد أخل بنكتة التنبيه على أن الوصية المشروعة في المال الطيب دون الخبيث، والمغصوب، فإن ذلك يجب رده إلى أربابه، ويأثم من أوصى به^(٢٨٥).

فإن قلت: أليس وصف الكثرة لابد من اعتباره؟ على ما دل عليه ما روي^(٢٨٦) عن علي رضي الله عنه أن مولى له أراد أن يوصي، وله سبعمائة، فمنعه، وقال: قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ والخير: المال الكثير، وما روي^(٢٨٧) عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً أراد الوصية، وله عيال، وأربعمائة دينار، فقالت: ما أرى فيه فضلاً؟^(٢٨٨).

قلت: نعم وقد دل عليه تنوين^(٢٨٩) خيراً، فإنه للتعظيم، فلا باعث فيما روي عنهما بصرف الخير عن وصف الطيب إلى وصف الكثرة.

وفي التقييد بقوله: (بالمعروف) نوع تأييد للتذكير المذكور في الدلالة على ما ذكر،

فتدبر!!

ولنرجع إلى ما كنا فيه، فنقول: لا يذهب عليك أنه باعتبار تلك الإشارة تضمن الكلام المذكور الجواب عن المسؤول عنه، لا يقال: لاعدول عن موجب السؤال في الجواب، فلا يكون من هذا الباب، لأننا نقول: موجب السؤال أن يكون بناء الجواب على بيان المسؤول عنه، فيكون ذلك البيان صريحا، وبيان غيره مما يناسب المقام إن وقع^(٢٩٠) قصد يكون ضمنا.

ولما كان الحال في الجواب المذكور على عكس هذا تحقق العدول عن موجب السؤال، نعم: ليس فيه تنزيل سؤال السائل منزلة سؤال غير سؤاله كما توهمه صاحب المفتاح حيث قال: (ينزل سؤال السائل منزلة ١٢٢ أب/ ٢٣ أ سؤال غير سؤاله، لتوخي التنبيه له بالطف وجهه على تعديه عن موضع سؤال هو أليق بحاله أن يسأل عنه أو أهم له، إذا تأمل)^(٢٩١)، ذلك في النوع الآخر من العدول. وهو بأن يسكت المجيب عن بيان المسؤول عنه بالكلية، ويأتي بدله ببيان غيره كما في المثال السابق^(٢٩٢).

والنكتة المذكورة مشتركة بين نوعي^(٢٩٣) العدول. روي^(٢٩٤) عن ابن عباس رضي الله عنه أنه جاء عمرو بن الجموح^(٢٩٥) - وهو شيخ هرم، وله مال عظيم - فأراد أن ينفق، فقال: ماذا تنفق من أموالنا؟، وأين نضعها؟ فنزلت^(٢٩٦).

وهذا السبب في نزول الآية المذكورة مذكور في عامة^(٢٩٧) التفاسير، فما سبق إلى فهم صاحب المفتاح من وهم التعدي من تعدي الوهم.

ومما يشبه هذا الأسلوب، أي الأسلوب الحكيم، وليس منه^(٢٩٨): حمل لفظ وقع في كلام المخاطب على خلاف مراده من المعاني التي يحتملها ذلك اللفظ، كما أخبر عنه الشاعر^(٢٩٩) بقوله:

قلت ثقلت إذ أتيت مرارا قال ثقلت كاهلي [بالأيادي]^(٣٠٠)

وذلك أنه أراد بلفظ ثقلت معنى: حملتك المؤونة، والإبرام بالإتيان مرة بعد أخرى، وقد حمله تثقيل عاتقه بالمنن والنعم، وبعده:

قلت طولت قال لا^(٣٩٩) بل تطول ت وأبرمت، قال حبل ودادي وهو أيضا من قبل ماتقدم، حيث أراد بلفظ «أبرمت» معنى أمللت، وقد حمّله على معنى الإحكام.

قوله: «طولت» أي طولت الإقامة والإتيان، والتطويل: التفضل والإحسان. أما اشتباه ما ذكره بالأسلوب الحكيم، لأنه لا فرق بينه وبين حمل القبعثري لفظي «الأدهم» و «الحديد» المذكورين في كلام الحجاج على خلاف مراده.

وأما أنه ليس منه فلفقد ما هو المعتبر في الأسلوب الحكيم من تلقي المخاطب بغير ما يترقب، فإن الصارف لفظ ثقلت عن مراد القائل، لم يصرفه إلى معنى لا يترقب، بل صرفه إلى معنى يترقب في أمثال ذلك المقام كما لا يخفى على ذوي الأفهام.

ولذلك - أي ولعدم خروج الكلام بالحمل المذكور عن مقتضى ظاهر الحال - لم يعد مثل ذلك الحمل من لطائف المعاني كما عدما في الأسلوب منها، بل عد من المحسنات البديعية^{(٣٠٠)(*)}.

هوامش البحث

- (١) للسيد أحمد الهاشمي كتاب اسمه «أسلوب الحكيم» وهو كتاب في الإنشاء، ولا صلة له بموضوع هذا البحث. ولذلك عدل الهاشمي عن هذا العنوان في طبعته الأخيرة فسمّاه «ديوان الإنشاء أو أسلوب الحكيم في منهج الإنشاء القويم» دار الكتب العلمية ١٤٠٦هـ بيروت.
- (٢) كنت قد نسبت هذا النص للعماد الأصفهاني، فنبهني لهذا الخطأ الفاحص الكريم، فرجعت إلى كتاب «إنحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للعلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي المشهور بمرتضى ٣/١ دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ووجدت النص مسبوqاً بالعبارة التالية: «وكتب أستاذ البلغاء القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني إلى العمال الأصبهاني معذراً عن كلام استدركه عليه: إنه وقع لي شيء، ولا أدري أوقع لك أم لا؟ وما أنا أخبرك به: وذلك أني رأيت...».
- (٣) الإعجاز والإيجاز للنعالي، تحرير الدكتور محمد التونجي، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ص ٧٢.
- (٤) أفدت من ملحوظات الفاحصين الكريمين، فجزاهما الله عني خيراً، فقد سددا بعض النقص، وإني لمستظر من القارئ الكريم تنبيهي إلى ما يراه نقصاً أو خطأ.
- (٥) مفتاح العلوم ٣٢٧.
- (٦) الإيضاح ٩٥/٢.
- (٧) عروس الأفراح (شرح التلخيص ١/٤٧٩).
- (٨) شرح عقود الجمان للسيوطي (مع شرح العلامة المرشدي ١/١١١).
- (٩) دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني ص ١٣٨، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٤٠٤هـ.
- (١٠) المقاييس البلاغية وعند الجاحظ في البيان والتبيين للدكتور فوزي عبد ربه دار الثقافة ١٩٨٣م ص ٢٤٠.
- (١١) البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون ٢/٢٨١.
- (١٢) السابق ٢/٢٨٢.
- (٣) المرجع السابق.
- (١٤) المقاييس البلاغية عند الجاحظ ٢٤٢.

- (١٥) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها للدكتور أحمد المطلوب / ١٩٩٠ .
- (١٦) البيان والتبيين ١٤٧/٢ .
- (١٧) المقاييس البلاغية عند الجاحظ ٢٤٢ .
- (١٨) المثل السائر لابن الأثير تحقيق د. بدوي طبانه وأحمد الحوفي ط٢ ، دار الرفاعي بالرياض ، ١٤٠٤هـ - ٩١/٣ .
- (١٩) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة العلوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٠هـ ، ٦٣/٣ وما بعدها .
- (٢٠) القاموس المحيط (غلط) ٨٧٨ مؤسسة الرسالة .
- (٢١) المرجع السابق .
- (٢٢) خصائص التراكمات للدكتور محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، ط٢ ، ١٤٠٠هـ ص ٢١١ .
- (٢٣) حاشية مخلوف المناوي على شرح حلبة اللب المصون ، مكتبة اليمن الكبرى - صنعاء ص ٨٢ .
- (٢٤) خصائص التراكمات ٢١١ .
- (٢٥) المثل السائر ٩١/٣ .
- (٢٦) الطراز ٦٣/٣ .
- (٢٧) طراز الحلة وشفاء الغلة ، لابن مالك الرعيثي ، تحقيق د. رجاء الجوهري ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ص ٦٢١ .
- (٢٨) خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي ، شرح عصام شعيتو ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٧م ، ٢٥٨/١ .
- (٢٩) أنوار الربيع في أنواع البديع ، لابن معصوم المدني ، تحقيق شاعر هادي شكر ، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ .
- (٣٠) البلاغة الاصطلاحية للدكتور عبده قلقيلة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٤٠٦هـ ص ٣٤٥ ، ٣٤٨ .
- (٣١) أنوار الربيع ١٩٨/٢ .
- (٣٢) السابق ٢٠٩/٢ .
- (٣٣) تحرير التحبير ٥٩٩ .
- (٣٤) رحلة الحج إلى بين الله الحرام ، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، دار الشروق ، جدة الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ، ١٤٤-١٥١ .
- (٣٥) السابق ١٤٤ .
- (٣٦) الإيضاح ٨٦/٦ .

- (٣٧) شرح التلخيص وأصحاب الحواشي.
- (٣٨) انظر ١ - بحوث المطابقة لمقتضي الحال، للدكتور علي البدري، المكتبة الحسينية القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، القسم الأول ٢٠٣.
- ٢ - خصائص التراكمات للدكتور محمد أبو موسى ٢١١.
- ٣ - البلاغة الاصطلاحية للدكتور عبده قلقيلة ٣٤٥.
- ٤ - البلاغة العربية في ثوبها الجديد (البديع) ١٠٤.
- ٥ - المعاني للدكتور أحمد النادي شعلته ود. محمد حسن شرشر، ود. حمزة زغلول، دار الطباعة المحمدية، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ-٢٥٦.
- ٦ - البلاغة فنونها وأفنانها وعلم البيان والبديع للدكتور فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-٢٨٩.
- ٧ - فن البديع للدكتور عبدالقادر حسين دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-ص ١٠٤.
- ٨ - الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل، للدكتور علي سلوم، والدكتور حسن نور الدين، دار العلوم العربية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-ص ١٨٤.
- ٩ - الجامع لفنون اللغة العربية والعروض لعبدنان مطرجي، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-ص ٢٠٦.
- ١٠ - صناعة الكتابة (علم البيان وعلم المعاني وعلم البديع)، للدكتور رفيق عطوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٩م-ص ١٢٧.
- (٣٩) انظر البلاغة الاصطلاحية، للدكتور عبده قلقيلة ٣٤٥، وجواهر البلاغة لأحمد الهاشمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية عشرة ص ٣٨٨.
- (٤٠) مفتاح العلوم ٣٢٧.
- (٤١) المفتاح (٣٢٧) (٤٢) الإيضاح ٩٤/٢.
- (٤٣) التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، للطبيبي، تحقيق الدكتور هادي عطية الهلالي، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-ص ٢٩٥، ٢٩٧.
- (٤٤) عروس الأفراح (شرح التلخيص) ٤٨٠/١-٤٨١.
- (٤٥) شرح التلخيص للباصري، تحقيق الدكتور محمد مصطفى صوفية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ-ص ٢٦١.

- (٤٦) عروس الأفراح (شرح التلخيص ١/٤٨٠).
- (٤٧) مختصر السعد (شرح التلخيص ١/٤٩٧).
- (٤٨) مواهب الفتاح (شرح التلخيص ١/٤٧٩).
- (٤٩) حاشية الدسوقي (شرح التلخيص ١/٤٧٩).
- (٥٠) شرح عقود الجمان للمرشدي العمري، شركة مصطفى الباي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٧٤هـ / ١١٠.
- (٥١) حاشية الدسوقي (شرح التلخيص ١/٤٨١).
- (٥٢) حاشية الدسوقي (شرح التلخيص ١/٤٨١).
- (٥٣) عروس الأفراح (شرح التلخيص ١/٤٨١).
- (٥٤) الباب رقم ٥٣ في كتاب العلم، انظر فتح الباري ١/٢٧٨، الحديث رقم ١٥٣.
- (٥٥) هو الدكتور فضل حسن عباس في كتابه البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع).
- (٥٦) البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع) ٢٩٢.
- (٥٧) البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع) ٢٩٣.
- (٥٨) تحرير التحرير ١٣٥.
- (٥٩) طراز الحلة وشفاء الغلة ٦١٦.
- (٦٠) مفتاح العلوم ٣٢٧.
- (٦١) الإيضاح ٢/٩٤.
- (٦٢) الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، لمحمد بن علي الجرجاني، تحقيق الدكتور عبدالقادر حسين، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٨١م، ص ٥٧.
- (٦٣) السابق انظر مثلاً: ٥٢، ٥٣، ٧٤.
- (٦٤) شرح عقود الجمان للسيوطي (في حاشية شرح عقود الجمان للمرشدي) ١/١١١.
- (٦٥) من ذلك مثلاً: المعاني، لأحمد النادي شعله وآخرين ٢٥٦، وبحوث المطابقة لمقتضى الحال، للدكتور علي البدري، القسم الأول ٢٠٣.
- (٦٦) مختصر المعاني، لسعد الدين التفتازاني، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحמיד، سيد الشهداء، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ / ١/١٥٥.
- (٦٧) شرح عقود الجمان ١/١١٠.
- (٦٨) انظر مثلاً الإيضاح ٢/٨١، ٨٢، ٨٥، ٩٦.
- (٦٩) التبيان للطبي ٢٩٥.
- (٧٠) السابق ٢٨٥.
- (٧١) السابق ٢٩٣.
- (٧٢) انظر مثلاً: جواهر البلاغة ٣٨٨.
- ٢ - البلاغة الاصطلاحية ٣٤٥.
- ٣ - البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع) ٢٨٩.

- ٤ - فن البديع لعبدالقادر حسين ١٠٤ .
- ٥ - صناعة الكتابة ١٣٧ .
- ٦ - الجامع لفنون اللغة ٢٠٦ .
- ٧ - الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل ١٨٤ .
- (٧٣) طراز الحلة وشفاء الغلة ٦٢١ .
- (٧٤) خزانة الأدب ٢٥٨/١ .
- (٧٥) المصباح في المعاني والبيان والبديع، لبدر الدين بن مالك، تحقيق الدكتور حسني عبدالجليل يوسف، مكتبة الآداب بالجاميز د.ت ٨٩ .
- (٧٦) إسفار الصباح الكاشف عن ضوء المصباح، لبدر الدين محمد بن يعقوب بن النحوية نسخة مخطوطة مصورة عن نسخة تعز ٩٤٤ .
- (٧٧) البقرة/ ١٨٩ .
- (٧٨) البقرة/ ٢١٥ .
- (٧٩) انظر تخريج هذا السبب في تحقيق رسالة ابن كمال باشا ص ١٠٠ من هذا البحث .
- (٨٠) أفدت ذلك من فضيلة الشيخ عبد المحسن بن عبدالعزيز حفظه الله .
- (٨١) لباب النقول للسيوطي في حاشية القرآن الكريم مع تفسير الجلالين، مراجعة مروان سوار، دار المعرفة بيروت ٨٦-٨٥ .
- (٨٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، تحقيق على البجاري، دار المعرفة، بيروت، د.ت ٣٢/٤ .
- (٨٣) السابق ٣٢-٣٣/٤ .
- (٨٤) السابق ٣/٥٥٦ .
- (٨٥) ميزان الاعتدال ٣/٥٥٧ .
- (٨٦) السابق ٣/٥٥٨ .
- (٨٧) ميزان الاعتدال ٣/٥٥٩ .
- (٨٨) انظر مثلاً فتح القدير للشوكاني ١/١٧٩ ط ٢، ١٣٨٢هـ وروح المعاني للألوسي دار إحياء التراث العربي ٧١/٢ .
- (٨٩) تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن، لابن حرير الطبري، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠هـ، ١٠٨/٢ .
- (٩٠) بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، جمع وتوثيق وتخريج يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ٣٨٨/١ .
- (٩١) الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة لمحمد الجرجاني ٥٨ .
- (٩٢) أي الشمس، فالمرور في علم الهيئة أن نور القمر عرضي مكتسب من نورها، أما نور الشمس فذاتي فيها (ينظر تفسير الرازي ٣٠/١٠٤) .
- (٩٣) مفتاح العلوم ٣٢٧ .

- (٩٤) الإيضاح ٩٥/٢.
- (٩٥) المطول، لسعد الدين التفتازاني، مكتبة الداوري، قم، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ص ١٣٦.
- (٩٦) رسالة الأسلوب الحكيم ص ١٠٨ من هذا البحث.
- (٩٧) شرح عقود الجهاد ١١/١.
- (٩٨) عروس الأفراح (شروح التلخيص) ٤٨٣/١-٤٨٤، وانظر التخريج في تحقيق رسالة ابن كمال باشا ص ١١٢.
- (٩٩) مواهب الفتح (شروح التلخيص) ٤٨٤/١.
- (١٠٠) حاشية الدسوقي (شروح التلخيص) ٤٨٣/١.
- (١٠١) حاشية الشهاب (عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي) للشهاب الخفاجي، دار صادر، بيروت، ٣٠٠/٢.
- (١٠٢) روح المعاني للألوسي ١٠٦/٢.
- (١٠٣) الكشف ٣٥٦/١.
- (١٠٤) سورة العاديات/٨.
- (١٠٥) الإشارات والتنبيهات ٥٨.
- (١٠٦) بدائع التفسير جمع يسري السيد محمد ٣٩٠/١.
- (١٠٧) للشيخ الطاهر بن عاشور في تفسير التحرير والتنوير، وتابعه الباحث عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر في رسالة الماجستير: أسلوب الإنشاء في سور المفصل، من سورة ق إلى سورة الناس دراسة تحليلية تطبيقية ١٤١٣هـ/ ١٤١٤هـ مرقومة على الآلة الكاتبة.
- (١٠٨) عروس الأفراح (شروح التلخيص) ٤٨٢-٤٨١/١.
- (١٠٩) عبد المحسن العسكر في رسالة للماجستير، أسلوب الإنشاء في سور المفصل ٢٤٧-٢٤٨، وقد تابع في ذلك الطاهر بن عاشور في تفسير التحرير والتنوير.
- (١١٠) الذاريات ١٢-١٤.
- (١١١) تفسير التحرير والتنوير ٣٤٥/٢٦.
- (١١٢) تفسير البيضاوي ٩٥/٥.
- (١١٣) سورة النازعات، ٤٢-٤٥.
- (١١٤) تفسير التحرير والتنوير ٩٥-٣٠.
- (١١٥) تفسير البيضاوي ١٧٣/٥.
- (١١٦) رواه البخاري «الحديث رقم ٦١٦٧» انظر فتح الباري ٥٥٣/١٠، ورواه مسلم «الحديث رقم ٢٦٣٩».
- (١١٧) تفسير التحرير والتنوير ٩٥/٣٠ و ٢٠٢/٩.
- (١١٨) السابق ٩٥/٣٠.
- (١١٩) صحيح البخاري بشرح الكرماني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ، ٣٦-٣٥/٢٢.

- (١٢٠) رواه البخاري «الحديث رقم ٥٥٠٧» انظر فتح الباري ٩/٦٣٤.
- (١٢١) سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، للصنعاني، تصحيح وتخريج: فواز أحمد زمرلي، وإبراهيم محمد الجمل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٦٥/٤.
- (١٢٢) صحيح رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/١٤٨، ١٥٨، ٢٥٩/٥)، والترمذي في «الجامع» ٤/٦٠٥ (٢٤٠٦). وهو صحيح بطرقه كما يقول الألباني في السلسلة الصحيحة ٥٨١/٢ (٨٩٠).
- (١٢٣) الكاشف عن حقائق السنن ٩/١١٢.
- (١٢٤) ضعيف: رواه الإمام أحمد في «المسند» ٥/٢٦٥ من حديث طويل، والطبراني في المعجم الكبير ٨/٢٥٨٨، ٢٥٩، ولفظه: ((أرأيت الصدقة ماذا هي...)) كلاهما من طريق أبي المغيرة عن معاذ بن رفاعه عن علي بن يزيد. قال الإمام ابن كثير يرحمه الله: «معاذ بن رفاعه السلمي ضعيف، وعلي بن يزيد ضعيف، والقاسم أبو عبد الرحمن ضعيف أيضاً» تفسير ابن كثير ٢/٤٥١. ورواه الإمام أحمد أيضاً ١٧٩/٥ بطريق أخرى بلفظ: «قلت يارسول الله، فما الصدقة» وسنده ((حدثنا يزيد، أنا المسعودي عن أبي عمر الشامي (الدمشقي) عن عبيد بن الحشاش عن أبي ذر به)). وهذا إسناد ضعيف أيضاً، قال الساعاتي في «الفتح الرباني» ١٩/٣٠: «أبو عمر الدمشقي ضعيف، وعبيد بن الحشاش لين الحديث».
- (١٢٥) الكاشف عن حقائق السنن ٤/١٢١.
- (١٢٦) صحيح: رواه الإمام مالك في «الموطأ» ١/٢٢. ومن طريقه الإمام أحمد في «المسند» ٢/٢٣٧، ٣٩٢، ٣٩٣، وأبو داود في «السنن» ١/٦٤ (٨٣)، والترمذي في «الجامع» ١/١٠٠ (٦٩)، والنسائي في «السنن» ١/١٧٦ (٣٣٢)، وابن ماجه في «السنن» ١/١٣٦ (٣٨٦). إسناد صحيح، قال الترمذي: «سألت محمد بن إسماعيل البخاري عن هذا الحديث، فقال: هو حديث صحيح» (علل الترمذي الكبير ١/١٣٦، ١٣٥).
- (١٢٧) عارضة الأحوزي لشرح صحيح الترمذي، بشرح الإمام ابن العربي المالكي، دار الكتاب العربي، ١/٨٩.
- (١٢٨) الكاشف عن حقائق السنن ٢/١٠٥-١٠٦.
- (١٢٩) انظر فتح الباري ١/٢٧٨.
- (١٣٠) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/٩٧، وانظر النص في «الأوائل لأبي هلال العسكري تحقيق الدكتور وليد قصاب، ومحمد المصري، دار العلوم بالرياض د. ت ١/٣٣٩، وانظر النص أيضاً في «آداب الملوك» للثعالب، تحقيق الدكتور خليل العطية، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م ص ٧٨ مع اختلاف يسير في العبارة، وانظر «المحلاة للعالمي» ٢١٥.
- (١٣١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/٩٨.
- (١٣٢) المستطرف ٥٩، وانظر المبسط في علوم البلاغة ٣٣٥، وقد عثرت على النص في «آداب الملوك» للثعالب ٧٨، وقد وثقه المحقق من مجموعته من المصادر منها: المحاسن والأضداد ١٤، ونثر البدر ٢/١٨٣، وربع الأبرار ١/٦٨٤، والتذكرة الحمدونية ١/٤٣٢.
- (١٣٣) القاموس المحيط «طول» ١٣٢٨.
- (١٣٤) الأوائل لأبي هلال العسكري ١/٣٣٩.
- (١٣٥) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٥/١٩٦، وانظر النص في «آداب الملوك» للثعالب ٧٧-٧٨، و«المحلاة للعالمي» ٢١٥، وورد هذا النص في «آداب الملوك» والمحاورة بين معاوية وسعيد بن مرة ص ٧٧.

- (١٣٦) البيان والتبيين للمحافظ ٢/٢٨١، وانظر حاشية «الإيضاح» ٩٥/٢.
- (١٣٧) السابق ٢/٢٨١.
- (١٣٨) السابق ٣/١٦٠، وانظر حاشية «الإيضاح» ٩٥/٢.
- (١٣٩) العنقفة: شعرات بين الشفة السفلى والذقن، انظر القاموس المحيط «عنق» ١١٧٨.
- (١٤٠) الأصوب أن تكون كلمة مأثوم منصوبة، والذي سَوَّغ إبقاء الكلمة هكذا حتى يمكن أن تقرأ ماء نوم.
- (١٤١) أنوار الربيع ٢/٢٠٢.
- (١٤٢) انظر نص المحاور في ١-البيان والتبيين ٢/٢١٤٧ - أنوار الربيع ٢/٢٠٠، وانظر أمالي المرتضى «غرر الفوائد ودرر القلائد» تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧هـ - ١/٢٦١.
- (١٤٣) المستطرف ٤٨، وانظر فصاحة العرب لحسين مغنية ٢٣-٢٤، وانظر النص في طرائف ونوادر من التراث العربي للدكتور نايف معروف ٢/٢٥٤-٢٥٥ نقلا عن حدائق الأزاهر لابن عاصم.
- (١٤٤) أنوار الربيع ٢/٢٠١-٢٠٢.
- (١٤٥) البيان والتبيين ٢/١٤٧، وانظر المقاييس البلاغية للدكتور فوزي السيد عبد ربه ٢٤٢-٢٤٣، ومعجم المصطلحات البلاغية للدكتور أحمد مطلوب ١٩٩.
- (١٤٦) البيان والتبيين ١/١٤٨.
- (١٤٧) طرائف ونوادر من عيون التراث العربي، للدكتور نايف معروف ٢/٢٩٠ نقلا عن حدائق الأزاهر لابن عاصم.
- (١٤٨) لم أعرف قائله، وقد ورد الاستشهاد بهذين البيتين في كل من: المبسط في علوم البلاغة لمحمد طاهر اللادقي ٣٣٥، وصناعة الكتابة لعطوي ١٢٧، والبلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبدیع) ٢٩٠.
- (١٤٩) كذلك لم أعرف قائله، وقد ورد هذان البيتان في المبسط في علوم البلاغة ٣٣٣، وجواهر البلاغة للهاشمي ٣٩٢.
- (١٥٠) أنوار الربيع ٢/٢٠٩.
- (١٥١) انظر المبسط في علوم البلاغة ٣٣٣، وجواهر البلاغة ٣٩٠، وصناعة الكتابة لعطوي ١٢٧.
- (١٥٢) انظر المبسط في علوم البلاغة ٣٣١، والجامع لفنون اللغة العربية والعروض ٢٠٦.
- (١٥٣) انظر المبسط في علوم البلاغة ٣٣٥، وجواهر البلاغة ٣٩٠، والبلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبدیع) ٢٩٢.
- (١٥٤) المبسط في علوم البلاغة ٣٣٥.
- (١٥٥) البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبدیع) ٢٩٠.
- (١٥٦) صحيفة الرياض العدد ٩٥٧٤ ص ٣٨ المنشور في يوم السبت ١٤١٥/٤/٥هـ.
- (١٥٧) مفتاح العلوم ٣٢٧-٣٢٨.
- (١٥٨) انظر ترجمته في:
- ١ - الشقائق النعمانية، لطاش كبرى زاده ١/٥٩٨-٥٩٩.
 - ٢ - شذرات الذهب، لابن العماد ٨/٢٣٨-٢٣٩.

- ٣ - الفوائد البهية، للكندي ٢٢-٢١.
- ٤ - مقدمة الدكتور ناصر الرشيد في تحقيقه لرسائل ابن كمال باشا ١٦-٧.
- ٥ - مقدمة الدكتور حامد صادق قتيبي في تحقيقه لرسالة الخواص والمزايا في الأسلوب البلاغي «بحوث ودراسات في اللغة العربية وآدابها» ج ٢- ٥١١-٥٥٢.
- ٦ - مقدمة الدكتور محمد حسين أبو الفتح في تحقيقه لثلاث رسائل في اللغة لابن كمال باشا ١٩-١٣.
- (١٥٩) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢٥٢/٥.
- (١٦٠) الفوائد البهية ٢٢، ورسائل ابن كمال باشا تحقيق د. الرشيد ١٢.
- (١٦١) الفوائد البهية ٢٢، ورسائل ابن كمال باشا تحقيق د. الرشيد ١٢.
- (١٦٢) ثلاث رسائل في اللغة لابن كمال باشا ١٢.
- (١٦٣) شذرات الذهب ٢٣٩/٨، ورسائل ابن كمال باشا ١٢.
- (١٦٤) شذرات الذهب ٢٣٩/٨.
- (١٦٥) بحوث ودراسات في اللغة العربية وآدابها ٥١١/٢-٥٥٢.
- (١٦٦) علمت أن هذه الرسالة والرسالتان اللتان بعدها، حققها الدكتور حامد قتيبي، حيث قدمها عملاً علمياً.
- (١٦٧) حققها حامد قتيبي في عمل علمي.
- (١٦٩) ثلاث رسائل في اللغة لابن كمال باشا تحقيق محمد أبو الفتح ١٦١-١٩٧.
- (١٧٠) رسائل ابن كمال باشا تحقيق د. الرشيد ٦٧-٧٦.
- (١٧١) رسائل ابن كمال باشا تحقيق د. الرشيد ٥٣-٦٥.
- (١٧٢) رسائل ابن كمال باشا تحقيق د. ناصر الرشيد ٣٧-٥١.
- (١٧٣) السابق.
- (١٧٤) السابق.
- (١٧٥) السابق ١١، وله عدد من النسخ في مكتبة جامعة الملك سعود، وذكر الدكتور محمد حسين أبو الفتح في مقدمة تحقيقه لثلاث رسائل في اللغة نسخة من تفسير ابن كمال باشا في تركيا بمكتبة سراي طبقوا زادة برقم ٨٩٧٧.
- (١٧٦) رسالة ابن كمال باشا في بيان الأسلوب الحكيم ص ٩٠ من هذا البحث.
- (١٧٧) رسالة ابن كمال باشا في بيان الأسلوب الحكيم ص ٩٧ من هذا البحث.
- (١٧٨) السابق ص ١٠١.
- (١٧٩) السابق ص ١٠٢.
- (١٨٠) رسالة ابن كمال باشا ص ٩٨ من هذا البحث.
- (١٨١) رسالة في بيان الأسلوب الحكيم ص ٩٦-٩٧ من هذا البحث.
- (١٨٢) انظر رسالة ابن كمال باشا ص ١٠١.
- (١٨٣) السابق ص ٩٥.
- (١٨٤) السابق انظر مثلاً ص ٩٤، ٩٨.

- (١٨٥) السابق انظر مثلاً: ص ٩٨، و١٠٣، و١٤٠.
- (١٨٦) السابق ص ٩٦.
- (١٨٧) السابق ص ٩٨.
- (١٨٨) السابق ص ١٠٤.
- (١٨٩) رسالة ابن كمال باشا في الأسلوب الحكيم ص ١٠٤.
- (١٩٠) السابق ص ٩٦.
- (١٩١) السابق ص ٩٤.
- (١٩٢) السابق ص ٩٧.
- (١٩٣) السابق ص ٩٨.
- (١٩٤) السابق ص ٩٦.
- (١٩٥) رسالة ابن كمال باشا في الأسلوب الحكيم ص ٩٥.
- (١٩٦) السابق ص ٩٤-٩٢.
- (١٩٧) السابق ص ٩٢.
- (١٩٨) السابق ص ١٠١.
- (١٩٩) رسالة ابن كمال باشا في الأسلوب الحكيم ص ٩٤.
- (٢٠٠) السابق ص ٩٥.
- (٢٠١) السابق ص ١٠١.
- (٢٠٢) السابق ص ٩٤، ٩٨.
- (٢٠٣) شذرات الذهب ٢٣٩/٨.
- (٢٠٤) رسالة ابن كمال باشا في الأسلوب الحكيم ص ٩٨، ١٠٣، ١٠٤.
- (٢٠٥) رسالة ابن كمال باشا في الأسلوب الحكيم ص ٩٢.
- (٢٠٦) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢٥٢/٥، وانظر الحديث عن هذا الكتاب في ص ٦٨.
- (٢٠٧) رسالة ابن كمال باشا في الأسلوب الحكيم ص ٩٨-٩٥.
- (٢٠٨) السابق ص ٩٧.
- (٢٠٩) رسالة ابن كمال باشا في الأسلوب الحكيم ص ٩٢.
- (٢١٠) السابق ص ٩٦.
- (٢١١) ورد بعد البسملة وقبل الحمد لله في نسخة ص «وبه التوفيق وهم نعم الرفيق»، ولم أثبتها حرصاً على إبقاء ما أثر عن السلف من البسملة والحمد له اقتداء بها ورد في البدء بكتاب الله.
- (٢١٢) ورد في ح و ف «العلي» وكذا في ط، ولعله تصحيف لكلمة العليم التي أجمعت عليها بقية النسخ، هذا وإن استعمال كلمة العلي لا يعد خطأ فهي من صفات الله جل وعلا، ولكن المرجح لصفة العليم هو كثرة استعمالها في القرآن الكريم مقترنة بصفة الحكيم حيث وردت خمساً وثلاثين مرة، فيما لم تقترن صفة العلي، بصفة الحكيم سوى مرتين فحسب ومع هذا فالسياق والمقام هو الذي يحدد هذا الاقتران. فاستعمال صفة العليم أول في بادية الكتاب، وأنسب للكلمتي الحكيم، والكريم.

(٢١٣) لعل اختياره لهذا الصفة أعني الحكيم إشارة إلى موضوع الرسالة وهو الأسلوب الحكيم، وهذا مما يعدّه البلاغيون من براعة الاستهلال.

(٢١٤) لعل في هذه الكلمة إشارة إلى أن المؤلف لم يزد على ترتيب ما ورد عند البلاغيين في هذا النوع، وانظر ما ذكرته في دراسة هذا المخطوط.

(٢١٥) يرد عن ذلك تحديد موضوعه لا ذكر تعريف محدد له، فما ذكره يمكن أن يصنف إلى تحديد الموضوع، وبيان الغرض، وأنواع العدول.

(٢١٦) هذا الشق من التعريف يكاد ينحصر فيها كان مشتركا مع التورية.

(٢١٧) الصواب أنه القبعثري، وهو الغضبان بن القبعثري الشيباني، من زعماء مروانية أهل العراق، وقد تابع المصنف حل البلاغيين الذين تابعوا الخطيب القزويني. وللتثبيت من أنه ابن القبعثري، وليس القبعثري انظر: الكامل للمبرد ٣٧٨/١-٣٧٩، والجلس الصالح للمعافي بن زكريا الحريري (١/٤٤٨-٤٤٩)، وشرح السعد المسمى مختصر المعاني للعلامة سعد الدين التفتازاني «تهذيب السعد» لمحمد محيي الدين عبد الحميد ١/١٥٥، وبغية الإيضاح ١/١٥٨، ١٨٦.

(٢١٨) هو الحجاج بن يوسف الثقفي (٤٠-٩٥هـ) انظر الأعلام ٢/١٧٥.

(٢١٩) سيذكر المصنف من هما.

(٢٢٠) الأدهم لفظ يفهم منه معنيان الأول القيد وهو ما يريده الحجاج، والثاني نوع من الخيل وهو مراد ابن القبعثري.

(٢٢١) من الألفاظ التي إذا أريد بها الكتابة عما أضيفت إليه، فإنه مما التزم العرب تقديمها كما أفاد ذلك عبد القاهر الجرجاني في الدلائل ١٣٨، وانظر حديث البلاغيين عن ذلك في موضوع تقديم المسند إليه.

(٢٢٢) في الأصل حمل، وكذا في النسخ ح، وف، وط وبقية النسخ ما عدا نسخة ص ففيها يحمل، وقد رجحته لسببين:

الأول: ملائمته لكلام ابن القبعثري الذي يأمل أن يتم ذلك الحمل مستقبلا، ووصف الأمير باستمرار وقوع الحمل منه.

الثاني: أن جل المصادر ذكرته بصيغة المضارع ولم يخالف ذلك إلا مصدران: هما التبيان للطبيي، وأنوار الربيع لابن معصوم،. ويظهر لي أن ابن معصوم اعتمد على ما ورد في كتاب الطبيي على عادته في النقل عنه، وأما الطبيي فقد ورد في نسخة الكتاب المحقق الأخرى بلفظ المضارع مما يجعل ذكر ذلك بلفظ الماضي ضعيفا وهنا وربما كان ذلك من تصحيفات النساخ بدليل وجود نسخ أخرى جاء بها بصيغة المضارع. إضافة إلى مجئها بصيغة المضارع في إحدى النسخ المعتمدة.

(٢٢٣) في الأصل ورقته، وكذا في ح، وص، وبقية النسخ، وأما ف، وط ففيها رزقته وهي الملائمة للمعنى، والتصحيح فيها ظاهر بين.

(٢٢٤) هذه الكلمة معطوفة على كلمة الأدهم، وما بين الشرطتين تفسير للأدهم.

(٢٢٥) فاعل فأبرز ضمير يعود على ابن القبعثري.

(٢٢٦) الضمير في هذه الكلمة يعود على الحجاج، والوعيد يكون في الشر، لا الوعد في الخير.

(٢٢٧) الفاعل ضمير يعود على ابن القبعثري، والضمير المفعول يعود إلى الحجاج.

(٢٢٨) من صَفِد - محركة - أَصَفِد، وهو الإعطاء انظر اللسان صفد وعروس الأفراح (شروح التلخي) ٤٨٠/١ .
 (٢٢٩) من صَفِدَه يَصْفِدُه صفاداً أي شدة أو ثقة انظر اللسان صفد . وهذا النص أخذه المصنف من السكاكي أو القزويني، وقد أورد الدسوقي كلاماً لطيفاً في التفريق بين الكلمتين فقال: «فأصفد يدل على الخير، لأنه من الصفد - بالتحريك - وهو الإعطاء بخلاف صفد، فإنه يدل على الشر، لأنه من الصفاد - بالكسر - وهو ما يوثق به، وهذا عكس: وعد وأوعد . والنكتة في ذلك أن صفد للقيد، وهو ضيق، فناسب أن تقلل حروفه الدالة عليه، وأصفد للإعطاء المطلق المطلوب فيه الكثرة، فناسب فيه كثرة الحروف، ووعد للخير والخير سهل مقبول للأنفس فناسب قلة حروفه، وخفة لفظه، وأوعد للشر، وهو صعب شاق على النفوس، فناسب ثقل لفظه بكثرة حروفه» انظر حشاية الدسوقي (شروح التلخيص ٤٨١/١).

(٢٣١) فغرض الحجاج من الحديد المعدن المعروف، وغرض ابن القيعري الفرس النشط السريع .
 (٢٣٢) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الصحابي المعروف (٢٠) قبل الهجرة - انظر في ترجمته: الإصابة ٤٢٦-٤٢٧ ترجمة ٨٠٣٧، الاعلام ١٦٦/٨).

(٢٣٣) ثعلبة بن عثمة بن عدي بن نابي بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري الخزرجي السلمي شهد العقبة في البيعتين وشهد بدرًا وهو واحد الذي كسروا آلهة بني سلمة قتل يوم الخندق شهيداً «انظر ترجمته في: السيرة النبوية لابن هشام (٢١٣هـ) تحقيق السقا وآخرين ٢٥٢/٢، والطبقات الكبرى لابن سعد (٣٢٠هـ) دار صادر ٥٨٠/٣، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣٢٧هـ) الطبعة الأولى ٤٦٢/١ ترجمة ٨٧١، وأسد الغابة لابن الأثير الخزرجي (٦٣٠هـ) دار الشعب ٩٢١-٩٢٢ ترجمة ٦١١.

(٢٣٤) في الأصل وبقيّة النسخ غنم، وهذا خطأ وقع فيه المؤلف لاعتناؤه على ما ذكره الزمخشري، والصواب هو عنمه كما ورد في المصادر التي أشرت إليها آنفاً عند ترجمته، وانظر أيضاً أسباب النزول للواحدي ٥٣-٥٤.

(٢٣٥) ممن جعل القصة التي ذكرها المصنف سبباً للنزول: الواحدي في أسباب النزول ٥٣-٥٤، الزمخشري في كشافه ٣٤٠/١، والبيضاوي في تفسيره (أنوار التنزيل) مؤسسة شعبان، بيروت ٢٢١-٢٢٢، وأبو السعود في تفسيره ٣١٩/١ وشهاب الدين الخفاجي في حاشيته على البيضاوي ٢٨٤/٢، والألوسي في روح المعاني ٧١/٢، وقد أشار إلى مصدر ذلك حيث قال: «أخرج ابن عساكر بسند ضعيف أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنمة قالا: . . . ويظهر لي أن المصنف نقل سبب نزول الآية عن الزمخشري مباشرة لتطابق نصيبها. وانظر جامع النقول في أسباب النزول، لابن خليفة عليوي الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، ٢٢١/١.

(٢٣٦) سورة البقرة/ ١٨٩.

(٢٣٧) ومن قال بذلك ابن قتبية في الأنواء ١٣٤، وانظر أدب الكاتب ٧٠، وابن فارس في معجم مقاييس اللغة في مادة «هل» ١١/٦، وذكر المرزوقي في كتابه الأزمنة والأمكنة: (. . . يقال الهلال مادام ابن ليلة وابن ليلتين، فإذا استدار وعظم قيل أن يستدير فهو القمر المستقبل) ٥٠/٢ الأزمنة والأمكنة للشيخ أبي علي المرزوقي الأصفهاني فرع من تأليفه سنة (٤٥٣هـ)، ط ١ حيدر آباد الدكن ١٣٣٢هـ.

وقال ابن الأجدابي (١٩٥٠هـ) في كتابه الأزمنة والأنواء: «فيسمى هلالاً إلى تمام ثلاث ليال، ثم يسمى بعد ذلك قمراً حتى ينقضي الشهر» ص ٨٤.

الأزمنة والأنواء لأبي إسحق إبراهيم المعروف بابن الأجدابي (٩٥٠هـ) تحقيق د. عزة حسن، دمشق ١٩٦٤م وزارة الثقافة والإرشاد القومي . وورد هذا الرأي في كثير من معاجم اللغة.

(٢٣٨) من ح ف ، وأما الأصل وبقية النسخ وردت كلمة «ثلث» هكذا وكان يمكن عدم الوقوف عند الاختلاف في هذه الكلمة ، لأنه يمكن أن يغزى لاختلاف الرسم الإملائي ، لولا أن الرسم له أثر في المعنى ، فكلاهما يمكن استعماله الثلاث ، والثلث ، وقد رجحت ما ورد في النسخة الرابعة كلمة ثلاث للأسباب الآتية :

أولا : لأنها جاءت بعد «ليلة أو ليلتين» ثم جاء بعدها الليلة السابعة .

ثانيا : لأن المصادر التي أشرت إليها آنفا في الحاشية السابقة نصت على أنها ثلاث .

ثالثا : لو جعلنا الكلمة «ثلث» لما كان لعرض الرأي الذي يليه أي فائدة ، فالليلة السابعة داخلة في الثلث .

(٢٣٩) انظر روح المعاني للألوسي ٧١/٢ .

(٢٤٠) أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (١٢٢-٢١٦هـ) . انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٣/ ١٧٠-١٧٦ ، وذكر أن له كتابا في الأنواء ، لعل هذا الرأي فيه .

(٢٤٢) أبو القاسم محمود بن عمر الزرخشري الخوارزمي (٤٧٦-٥٣٨هـ) انظر في ترجمته : طبقات المفسرين للدودي ٣١٦-٣١٤/٢ .

(٢٤٣) الكشف للزرخشري ٣٤٠/١ .

(٢٤٤) ذكر ذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم﴾ سورة الواقعة ٥٠-٤٩ انظر الكشف ٥٥/٤ .

(٢٤٥) ما بين قوسي التنصيص كلام الزرخشري في الكشف ٥٥/٤ ، ولهذا فالزرخشري يقصرها على المعنى المكاني .

(٢٤٦) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (. . . ٣٩٣هـ) انظر في ترجمة بغية الوعاة للسيوطي ١/ ٤٤٨-٤٤٦ .

(٢٤٧) الصحاح تحقيق أحمد عبد الغفور عطار مادة «وقت» ٢٦٩/١ .

(٢٤٨) الاشتراك المعنوي : اشتراك كلمتين أو أكثر بمعنى واحد بطريق النقل كالنقل عن طريق المجاز فالأسد يشترك مع الرجل الشجاع في المعنى عن طريق النقل ، وليس بحسب الوضع في اللغة .

(٢٤٩) الاشتراك اللفظي هو «أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر [بطريق الوضع] حتى لا يدخل المجاز : انظر الصحاح لابن فارس ٤٥٦ ، والمزهر للسيوطي ٣٦٩/١ .

(٢٥٠) ورد في حاشية الأصل «قاله الراغب وقلده البيضاوي» وهذا صحيح فقد ذكر ذلك البيضاوي في تفسيره ١/ ٢٢٢ ، وعن ذكر أيضا أبويحيان في البحر المحيط ٥٩/٢ ، وعن ذكره بعد ابن كمال باشا أبو السعود في إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٣١٩/١ .

(٢٥١) لعل المؤلف يريد أن تكون في معنى الميقات المكاني كما فعل الزرخشري ، أو لا يريد قصرها على المعنى الزماني ، بل يريد أن تشملهما معا .

(٢٥٢) إن قضاء العبادات كالصلاة والصوم والزكاة لا يشترط فيه وقت معين ، أما الحج فإذا لزم المرء قضاؤه لم يستطع أن يقضيه إلا في وقت الحج ، أما أداء الصلاة والصوم ، فمعلوم أن الوقت يجب أن يراعى فيها .

(٢٥٣) علم الهيئة هو : «علم يعرف منه أحوال الأجرام البسيطة ، العلوية والسفلية ، وأشكالها وأوضاعها ومقاديرها وأبعادها» : انظر مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، لأحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده ، دار الكتب العلمية ٣٤٨١ .

- (٢٥٤) من نسخة (ص) وأما الأصل وبقية النسخ ورد فيها يناسبه .
- (أ) من نسخة ص ، وأما الأصل وبقية النسخ ففيها (يناسبه) ولعلها ثلاث كلمة السائل ، وقد أثرت ما ورد في ص لما يأتي :
- ١ - ملأمتها لقوله تعالى «يسألونك» .
 - ٢ - عدم تعارضها مع كلمة السائل إذا جعلنا السائل جنسا .
 - ٣ - ولأن السائل ليس واحدا كما هو واضح من سبب النزول .
- (٢٥٥) لعل مراد المؤلف أن جواب السؤال على ظاهره ربما يكون فيه تشويش ، لكون الصحابة قريبي عهد بالإسلام ، وبخاصة إذا كان السبب غير ظاهر ، ولم تتيسر لهم أسباب معرفته .
- قلت : لقد صدق الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بأكثر من ذلك .
- (٢٥٦) ورد في حاشية الأصل «السيد» وهذا صحيح فهو يعني السيد الشريف الجرجاني في شرحه للمفتاح المسمى «المصباح» انظر المصباح تحقيق د . فريد محمد بدوي النكلاوي ٦١٦/٢ رسالة دكتوراه بإشراف كامل الخولي ١٣٩٧هـ كلية اللغة العربية بالأزهر .
- (٢٥٧) يعني السكاكي .
- (٢٥٨) قوله أخطأ في الإسناد يعني أن شارح المفتاح نسب للسكاكي رأيا لم يقله .
- (٢٥٩) ما قاله السكاكي هو : «قالوا في السؤال : مبال الهلال يدو دقيقا مثل الخيط ، ثم يتزايد قليلا حتى يمتلئ ويستوي ، ثم لايزال ينقص حتى يعود كما بدأ؟ المفتاح ٣٢٧ .
- (٢٦٠) وجه التخطئة : أن السيد الشريف نسب للسكاكي قوله : إنهم سألوا عن السبب الفاعل للمشكلات النورية في الهلال ، وعبارة السكاكي ليست كذلك ، والفرق بينها أن مناسب إلى السكاكي السؤال عن السبب الموحد للمشكلات ، وما قاله السكاكي : الأسباب التي تعلق لهذه المشكلات .
- (٢٦١) مفتاح العلوم ٣٢٧ .
- (٢٦٢) هو كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد الكاشاني أو القاشاني ، له مجموعة من المصنفات توفي بعد عام (٧٣٠هـ) انظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٢١٥/٥ .
- (٢٦٣) لم أقف على تفسير القاشاني ، ولكن القاسمي أكثر من النقل عنه في كتابه المعروف بتفسير القاسمي المسمى ب : «محاسن التأويل» مطبوع أشرف على طبعه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت ط ٢ ، ١٣٩٨هـ .
- (٢٦٤) الكشف ٣٤٠/١ .
- (٢٦٥) هو القاضي البيضاوي : عبدالله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي ناصر الدين البيضاوي (٦٨٥هـ) قاض مفسر علامة انظر ترجمته في طبقات المفسرين للدودي ٢٤٨-٢٤٩ .
- (٢٦٦) ذكر ذلك في كتابه : «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع ، بيروت د . ت ١/٢٢٢-٢٢١ .
- (٢٦٧) يعني بالأول : السبب العادي الذي يكون جوابه الرجوع لعلم الهيئة .
- ولو كان الثاني وهو السبب الفاعل فجوابه أن الله هو الفاعل لذلك .
- (٢٦٨) الأول محاورة ابن القبعثري للحجاج ، والثاني آية الألهة .

(٢٦٩) مفتاح العلوم ٣٢٧.

(٢٧٠) البیتان من الطویل، نسبهما: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في شرحه وتعليقه على الإيضاح ٩٥/٢. لحاتم الطائي، وكذا فعل د. فريد النكلوي في تحقيقه لشرح السيد الشريف الجرجاني على المفتاح ٦١٦/٢. ولم أقف على هذين البيتين في ديوان حاتم المطبوع بعنوان: «ديوان شعر حاتم الطائي» صنعة يحيى بن مدرك الطائي، رواية هشام بن محمد الكلبي، دراسة وتحقيق د. عادل سليمان جمال الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة ط٢، ١٤١١هـ، ولعل تضمن البيتين الحديث عن الكرم كان أحد أسباب عزوها لحاتم دون توثيق.

(٢٧١) البقرة ١٨٩.

(٢٧٢) البخاري هو: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله الجعفي البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ) صاحب الجامع الصحيح، انظر ترجمته في تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي - بيروت.

(٢٧٣) ورد هذا الحديث بزيادات كثيرة في البخاري (فتح الباري ٤٦٩/٣) رقم الحديث ١٥٤٢ ولم يرد سالم في السند، ورد هذا الحديث بزيادات كثيرة في البخاري (فتح الباري ٢٣١/١) الحديث رقم ١٣٤، وهو أقرب إلى ما ذكره ابن كمال باشا.

(٢٧٤) سالم هو: سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب (١٠٦هـ) أحد فقهاء المدينة السبعة انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ١١٤/٣-١١٥.

(٢٧٥) عبد الله هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي (٧٣هـ) صحابي جليل انظر ترجمته في الإصابة ٣٤٧/٢-٣٥٠ ترجمة رقم ٤٨٣٤.

(٢٧٦) أبو ذر هو: جندب بن جنادة الغفاري (٣٢هـ) انظر ترجمته في الإصابة قسم الكنى ٦٣/٤-٦٤ ترجمة رقم ٣٨٤ (قسم الكنى).

(٢٧٧) ورد الحديث بنصه في تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ١٣٧/٧ الحديث قم ٢٥٦٢ ضبط عبد الرحمن عثمان - دار الفكر. وفي صحيح مسلم بشرح النووي: «والذي نفس محمد بيده الآية... ٦١/٨ دار الكتب العلمية.

(٢٧٨) ما بين المعقوفتين ساقط من جميع النسخ والمطبوع، وهو موجود في الأصل وقد وضعت بين معقوفتين للتنبيه عليه فحسب.

(٢٧٩) سورة البقرة ٢١٥.

(٢٨٠) ورد في حاشية الأصل «سعد الدين في المطول» وهذا صحيح ومن قال بذلك: السكاكي في المفتاح ٣٢٧، والقزويني في الإيضاح ٩٥/٢.

والزغشري في الكشف ٢٥٦/١، لا

والفتازاني في المطول ١٣٦ وفي المختصر ١٥٧/١.

والمرشدي العمري في شرح عقود الجمان ١١١/١.

(٢٨١) البيت من الكامل، وقد ورد في الكشف ٣٥٦/١، وفي البحر المحيط ١٤٢/٢ دون غزو، «والصلاة» للعاملي ١١٢، وقد شفع بيت آخر.

(٢٨٢) الراغب هو: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) له كتاب في التفسير لم

يكمله، ومنه أخذ البضاوي غالب تحقيقاته، انظر مقدمة محقق: «المفردات في غريب القرآن» للراغب الأصفهاني تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني، شركة البابي الحلبي ١٣٨١هـ ص ٣. وقد طبعت مقدمة تفسيره، وليس فيها هذا الموضع.

(٢٨٣) لم يرد هذا النص بتمامه «المفردات» وإنما ورد معناه في ١٦٠.

(٢٨٤) البقرة ١٨٠.

(٢٨٥) ورد كلام قريب من ذلك في المفردات ١٦٠.

(٢٨٦) انظر «مصنف عبدالرزاق» المصنف للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١هـ) عني بتحقيقه وتخريجه حبيب الأعظمي: ٩٢/٩ الحديث رقم ١٦٣٥١، و١٦٣٥٢، وانظر: «مصنف ابن أبي شيبة» الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة (٢٣٥هـ) تقديم كمال يوسف الحوت، دار التاج، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ. ٢٢٩/٦، رقم الحديث ٣٠٩٤٥ «مع اختلاف يسير».

(٢٨٧) انظر مصنف عبد الرزاق ٦٣/٩. الحديث رقم ١٦٣٥٤. وانظر مصنف ابن أبي شيبة ٣٠٢٩/٦ مع اختلاف يسير».

(٢٨٨) علامة الاستفهام ليست لكلام على رضي الله عنه، ولا عائشة رضي الله عنها، بل لقول المؤلف «ليس وصف الكثرة...؟»

(٢٨٩) كذا في جميع النسخ، ولعله يريد بالتنوين - هنا - التنكير، مع العلم أن التنوين في كلمة «خيبر» ليس تنوين تنكير، بل هو تنوين تمكين.

ومما يرجح أنه يريد التنكير أمران:

أولهما: أنه ذكر أن التنوين للتعظيم، وهذا من أغراض التنكير عند البلاغيين.

وثانيهما: قول المؤلف نفسه بعد سطرين: «وفي التقييد بقوله بالمعروف نوع تأييد للتنكير المذكور».

(٢٩٠) وفي هذه العبارة اعتراف من ابن كمال باشا بوجود الجواب على ظاهر السؤال. وإن جاء ضمنا.

(٢٩١) المفتاح للسكاكي ٣٢٧.

(٢٩٢) لعله يعني السؤال عن آنية الخوض في حديث أبي ذر انظر ص ١٠٧.

(٢٩٣) نوعا العدول: ١ - تلقي المخاطب بغير ما يترقب.

٢ - إجابة السائل بغير ما يطلب.

(٢٩٤) انظر: تفسير البغوي (معالم التنزيل) للحسين بن مسعود البغوي ٥١٦هـ تحقيق وتخريج محمد النمر، وعثمان ضميريه، وسليمان الحوش، دار طيبة، عام ١٤١٢هـ، ٢٤٥/١.

وانظر الكشف ٣٥٦/١، ويظهر لي أن المؤلف نقل ذلك عنه لتطابق النصين وانظر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٩٧هـ) ٢١١/١.

وانظر كذلك جامع النقول في أسباب النزول لابن خليفة عليوي ط الأولى ١٤٠٤هـ، ٢٥٨/١.

(٢٩٥) هو عمرو بن الجموح بن زيد بن حزام بن كعب بن غنم بن سلمة الأنصاري (٣هـ) انظر ترجمته في الإصابة ٥٢٩/٢ - ٥٣٠ رقم الترجمة ٥٧٩٧.

(٢٩٦) يعني «القول بالموجب» انظر تحرير التحبير لابن أبي الإصبع ٥٩٩، وبديع القرآن له ٣١٤، والإيضاح للقزويني ط خفاجي ٨٦/٦ - ٨٧ وأنوار الربيع لابن معصوم ١٩٨/٢ - ١٩٩.

- (٢٩٧) ذكر ابن أبي الإصبع، أن هذا البيت والذي يليه لابن حجاج انظر تحرير التحبير ٥٩٩ وديع القرآن ٣١٤، ولكن العباسي في معاهد التنصيص ذكر أنه لم يرهما في ديوان ابن حجاج، وعزاهما لمحمد بن إبراهيم الأسدي معتمدا على ما ذكره سبط ابن الجوزي انظر معاهد التنصيص ٣/ ١٨٠.
- (٢٩٨) ساقط من الأصل، وح، وف، وس، وموجود في ص، وع، وط وكذا في المصادر التي ذكرت البيت.
- (٢٩٩) ورد عند ابن أبي الإصبع رواية أخرى جعل «لي» بدلا من «لا»، وفي كلتا الروايتين يستقيم البيت معنى ووزنا.
- (٣٠٠) هذا تعليل لطيف من المؤلف لذكر أسلوب الحكيم في علم المعاني، وجعل القول بالموجب من المحسنات.
- (*) ورد في آخر الأصل: «تمت كتابتها من النسخة التي كتبت من نسخة المصنف، وقوبلت بها في سنة ٩٨٤» يعني للهجرة.

مراجع البحث

- آداب الملوك، للثعالبي، تحقيق الدكتور جليل العطية، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٠ م.
- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، للعلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي المشهور بمرتضى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- أدب الكاتب، لابن قتيبة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الرابعة، ١٣٨٢ هـ.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود) لأبي السعود، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، د.ت.
- الأزمنة والأمكنة، للشيخ أبي علي المرزوقي الأصفهاني، حيدر أباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٣٢ هـ.
- الأزمنة والأنواء، لأبي إسحق إبراهيم المعروف بابن الأجدابي، تحقيق الدكتور عزة حسن، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٦٤ م.
- أسباب النزول، للواحدي، تخريج وتوثيق عصام بن عبد الرحمن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.
- أسد الغابة، لابن الأثير الجزري، مطبعة دار الشعب، د.ت.
- إسفار الصباح الكاشف عن ضوء المصباح، لبدر الدين محمد بن يعقوب ابن النحوية، . نسخة مخطوطة مصورة عن نسخة تعز.
- أسلوب الإنشاء في سور المفصل من سورة ق إلى سورة الناس: دراسة تحليلية تطبيقية، لعبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مرقومة على الآلة الكاتبة، ١٤١٣ هـ / ١٤١٤ هـ.
- الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، لمحمد بن علي بن محمد الجرجاني، تحقيق الدكتور عبد الرحمن حسن، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٨١ م.

- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، دار صادر، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٨هـ.
- الإعجاز والإيجاز للثعالبي، تحقيق الدكتور محمد التونجي، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- الأعلام، للزركلي، الطبعة الثالثة، ١٣٨٩هـ.
- أمالي المرتضى = غرر الفوائد ودرر القلائد.
- الأنواء، لابن قتيبة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧٥هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت، د.ت.
- أنوار الربيع في أنواع الربيع، لابن معصوم المدني، تحقيق شاكِر هادي شكر، مكتبة العرفان، كربلاء، العراق، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.
- الأوائِل، لأبي هلال العسكري، تحقيق الدكتور وليد قصاب، ومحمد المصري، دار العلوم بالرياض، د.ت.
- البحر المحيط، لأبي حيان، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- بحوث المطابقة لمقتضى الحال، للدكتور على البدري، المكتبة الحسينية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
- بحوث ودراسات في اللغة العربية وآدابها، إصدار كلية اللغة العربية بالرياض ١٤٠٨هـ.
- بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، جمع وتوثيق وتخرِيج يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، تحقيق الدكتور حفي شرف، مكتبة نهضة مصر، الطبعة الأولى، ١٣٧٧هـ.
- بغية الإيضاح، لعبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجهايمز، القاهرة، د.ت.
- بغية الوعاة، للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

- البلاغة الاصطلاحية، للدكتور عبده قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٠٦هـ.
- البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم البديع)، للدكتور بكري الشيخ أمين، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع)، للدكتور فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، د.ت.
- تاريخ بغداد، للبغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
- التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، لشرف الدين الطيبي، تحقيق الدكتور هادي عطية الهلالي، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، تحقيق الدكتور حفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د.ت.
- تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، ضبط عبدالرحمن عثمان، دار الفكر، د.ت.
- تفسير البغوي - معالم التنزيل.
- تفسير البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل.
- تفسير الطبري - جامع البيان في تفسير القرآن.
- تفسير القاسمي - محاسن التأويل.
- تفسير القرآن الكريم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير، دار الأندلس، الطبعة الرابعة، ١٩٨٣م.
- ثلاث رسائل في اللغة، لابن كما باشا، تحقيق الدكتور محمد حسين أبو الفتوح: مكتبة لبنان بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠هـ.

- الجامع لفنون العربية والعروض ، لعدنان مطرجي ، مؤسسة الكتاب الثقافية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٤٠٧هـ .
- جامع النقول في أسباب النزول ، لابن خليفة عليوي ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .
- الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم ، الطبعة الأولى ، د.ت .
- المجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ، لمعافي بن زكريا الحريري ، تحقيق الدكتور محمد مرسي الخولي عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١م .
- جواهر البلاغة ، لأحمد الهاشمي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت الطبعة الثانية عشرة ، د.ت .
- حاشية الدسوقي «شروح التلخيص» دار السرور ، بيروت ، د.ت .
- حاشية الشهاب الخفاجي «عناية القاضي ، وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي» للشهاب الخفاجي ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .
- حاشية مخلوف المنيأوي على شرح حلية اللب المصون لمخلوف المنيأوي ، مكتبة اليمن الكبرى ، صنعاء ، دا.ت .
- خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي ، شرح عصام شعيتو ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م .
- خصائص التراكيب ، للدكتور محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠هـ .
- دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق الشيخ محمود شاكر ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ١٤٠٤هـ .
- الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل ، للدكتور على سلوم ، والدكتور حسن نور الدين ، دار العلوم العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ .
- ديوان الإنشاء أو أسلوب الحكيم في منهج الإنشاء القويم ، للسيد أحمد الهاشمي ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٦هـ . بيروت ،
- ديوان شعر حاتم الطائي ، صنعته يحيى بن مدرك الطائي ، رواية هشام بن محمد الكلبي ، دراسة تحقيق الدكتور عادل سليمان جمال ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،

- الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.
- رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، دار الشروق، جده، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- رسائل ابن كمال باشا، تحقيق الدكتور ناصر بن سعد الرشيد، النادي الأدبي بالرياض، ١٤٠١هـ.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، لمحمد بن إسماعيل اليميني الصنعاني، صححه وعلق عليه وخرج أحاديثه، فواز أحمد زمرلي، وإبراهيم الجمل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق وتحرير شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٠هـ.
- السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم البياري، وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.
- شرح التلخيص، للبابرقي، تحقيق الدكتور محمد مصطفى صوفيه، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، طرابلس، ليبيا، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ.
- شرح السعد «مختصر المعاني» لسعد الدين التفتازاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة سيد الشهداء، قم، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (الكاشف عن حقائق السنن)، لشرف الدين حسن بن محمد الطيبي، تحقيق المغني عبد الغفار حبيب الله، ونعيم أحمد شبيه، وبديع السيد اللحام، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي، باكستان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- شرح عقود الجمان للسيوطي (مطبوع بحاشية شرح عقود الجمان للمرشدي العمري).

- شرح عقود الجمان، المرشدي العمري، شركة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٧٤هـ.
- الصحابي لابن فارس، تحقيق السيد أحمد صفر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت.
- الصحاح للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.
- صحيح البخاري بشرح الكرماني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.
- صحيح مسلم بشرح الترمذي، دار الكتب العلمية، د.ت.
- صناعة الكتابة (علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع)، للدكتور رفيق عطوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.
- الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار صادر، بيروت، د.ت.
- طبقات المفسرين، لمحمد بن علي الداودي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- طرائف ونوادر من عيون التراث العربي، للدكتور نايف معروف، ار النفانس، الطبعة الثالثة. ١٤١٢هـ.
- طراز الحلة وشفاء الغفلة، لابن مالك الرعيني، تحقق الدكتور رجاء جوهري، مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية، د.ت.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ.
- عارضة الأحوزي لشرح صحيح الترمذي، بشرح الإمام بن العربي المالكي، دار الكتاب العربي، د.ت.
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (شروح التلخيص)، دار السرور، بيروت د.ت.
- عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي، للشهاب الخفاجي، حشاية الشهاب الخفاجي.

- غرر الفوائد ودرر القلائد «أمانى المرتضى» للشريف المرتضى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، تحقيق سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن عبدالله بن باز، دار الفكر، د. ت.
- الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد، أحمد بن عبد الرحمن البنا الساعاتي، دار الشهاب، القاهرة، د. ت.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٢هـ.
- فصاحة العرب، تأليف حسين مغنية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت. ١٤٠١هـ.
- فن البديع، للدكتور عبد القادر حسين، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، لأبي الحسنات محمد عبد الحلي اللكنوي الهندي، عني بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني، مطبعة دار السعادة، الطبعة الأولى، ١٣٢٤هـ.
- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- الكاشف عن حقائق السنن للطبيي - شرح الطبيي على مشكاة المصابيح.
- الكامل، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، د. ت.
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزخشي، دار المعرفة، بيروت، د. ت.
- لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، مطبوع في حاشية القرآن الكريم مع تفسير الجلالين، مراجعة مروان سوار، دار المعرفة، بيروت، د. ت.
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٠٠هـ.

- المبسط في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، لمحمد طاهر اللادقي، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٦٩هـ.

- المثل السائر، لابن الأثير، تحقيق الدكتور بدوي طبانه، والدكتور أحمد الحوفي، دار الرفاعي بالرياض، ١٤٠٤هـ.

- محاسن التأول، للقاسمي، أشرف على طبعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.

- المخلاة، للعالمي، تنسيق وفهرسة محمد خليل الباشا، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، بيروت.

- المزهري، للسيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، وعلى محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر. د. ت.

- المستطرف في كل فن مستظرف، للأبشهي، مكتبة الجمهورية العربية، مصر، د. ت.

- المصباح في شرح المفتاح، للسيد الشريف الجرجاني، تحقيق الدكتور فريد محمد بدوي النكلاوي رسالة دكتوراه مرقونة بالآلة الكاتبة، كلية اللغة العربية بالأزهر - القاهرة.

- المصباح في المعاني والبيان والبديع، لبدر الدين بن مالك، تحقيق الدكتور حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب بالجاميز، د. ت.

- مصنف ابن أبي شيبة «الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار»، تقدم كمال يوسف الحوت، دار التاج، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

- المطول، لسعد الدين التفتازاني، مكتبة الداوري، قم، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

- معالم التنزيل، للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق وتخراج محمد النمر، وعثمان ضميرية، وسليمان الحرش، دار طيبة، ١٤١٢هـ.

- المعاني، للدكتور أحمد النادي شعلة، والدكتور محمد حسن شرشر، والدكتور حمزة زغلول، دار الطباعة المحمدية، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، للعباسي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، ١٣٦٧هـ.
- المعجم الكبير، للحافظ أبي القاسم الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، العراق.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، للدكتور أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ج ١ = ١٤٠٣هـ، ج ٢ = ١٤٠٦هـ، ج ٣ = ١٤٠٧هـ.
- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، إسماعيليان نجفي، قم، إيران، د. ت.
- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٦هـ.
- مفتاح السعادة، ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، لأحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده، دار الكتب العلمية، د. ت.
- مفتاح العلوم، للسكاكي، ضبط وشرح نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني، شركة البابي الحلبي، ١٣٨١هـ.
- المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين، للدكتور فوزي السيد عبد ربه عيد، دار الثقافة، ١٩٨٣م.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، د. ت.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د. ت.